

المشروع القومي للترجمة

ماكس فريش

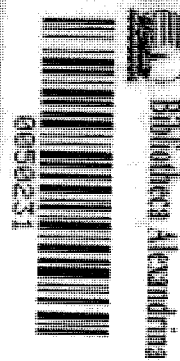
بيتر ماسن

ومشعلو الحرائق

مسرحية

ترجمة وتقديم

دكتور مصطفى ماهر



١٩٩٧

بيدهم
ومشعلو الحرائق

المشروع القومي للترجمة

ماكس فريش

بيذر من

ومشعلو الحرائق

مسرحية

ترجمة وتقديم :

دكتور مصطفى ماهر



هذه ترجمة كاملة لمسرحية

Biedermann und die Brandstifter

Max Frisch

مقدمة

أولاً:

بدأ اهتمامى بنقل أعمال مختارة من الأدب السويسرى المعاصر حول عام ١٩٦٠ وترکز حول أدبيين خاصة هما فريديريش دورينمات Friedrich Durrenmatt وماكس فريش Max Frisch رأيت ، كما رأى كثرة النقاد وعلماء الأدب أنهما يمثلان الأدب السويسرى الألمانى المعاصر ، ويمثلان جانباً هاماً من الأدب الألمانى منذ الحرب العالمية الثانية ، ويقدمان إلى الأدب الإنسانى العديد من الأعمال المتميزة . وينبغى أن ننوه هنا بالدور الكبير الذى لعبه فى التعريف بهما ، وفى ارتياد مجالات واسعة من التفاعل الثقافى مع أدب العالم رواد من أمثال أ.د . عبد الرحمن بدوى ، الذى فتح أمام طلاب الثقافة الرفيعة طوال نصف قرن أو يزيد أفقاً بعد أفق ، وفضله أكبر من أن نوفيه حقه

بكلمات عابرة ، ولعل المؤسسة الثقافية الرسمية في وطننا تذكر هذا الرجل فتقدم إليه باقة الزهور التي تليق به .

أياً كان الأمر فقد نقلتُ في مطلع الستينيات « زيارة السيدة العجوز » لفريدريش دورينمات إلى العربية ، وظهرت الترجمة مطبوعة في عام ١٩٦٢ ، ثم عُرضت على مسرح دار الأوبرا في إخراج رائع من إبداع المخرج العبقرى سمير العصفورى وبمشاركة من باقة من نجوم المسرح العظيم من أمثال زوزو نبيل وعبد الله غيث وحسن البارودى وصلاح منصور ، ودخلت المسرحية بمرور الوقت معين الثقافة وانددمجت في الوجدان الفنى فى عالمنا الثقافى وبخاصة بعد أن شد فيلم « الزيارة » طبقات واسعة من الجمهور من مشاهدى السينما ، واقتبس منها الكتاب للمسرح والسينما وغيرهما ما شاء لهم الاقتباس وظهرت ترجمات أخرى للمسرحية نفسها ، وترجمات لمسرحيات أخرى بأقلام متنوعة لكل منها أسلوبه ومنهاجه ، وكان ما عشناه مع هذه الترجمات موجة من موجات الترجمة التي تحدثت عنها فى مقالى عن الترجمة فى عام ١٩٧٣ ولم يقتصر استقبال دورينمات فى مصر على هذه الترجمات وما تصدرت به من مقدمات أو دراسات ، وعلى الاقتباسات ، بل كان طلاب الأقسام المختصة باللغة والأدب الألمانى فى الجامعات يطالعون أعمالاً لدورينمات فى أصلها الألمانى ويتناولونها بالدرس ، كذلك كانت فرق المسرح المعروفة وفرق الهواة تقدم أعمال دورينمات مترجمة ، وكانت بعض المدارس وبخاصة الألمانية تعرض هذه أو تلك المسرحية فى نصها الألمانى ، ولا تغفلن عن دور أكاديمية الفنون ومعهد المسرح بها خاصة وكان الباحثون على مستوى الدراسات العليا وبحوث

الترقى يكتبون عنها ، مثلما فعل الدكتور محمد عبد السلام يوسف فى رسالتى
الدكتوراه والماجستير تحت إشرافى .

ثم قدمت فى عام ١٩٧٠ ترجمة لعمل ثان من أعمال دورينمات ، هو
«النيزك» شرفنى بمراجعته صديقى الأستاذ الدكتور عبد الغفار مكاوى ، ولم
يتح لهذه المسرحية من الانتشار سواء فى العالم أو لدينا ما أتيح لزيارة السيدة
العجوز ، ولكن اهتمامنا بدورينمات كان كبيراً ، ما فى ذلك شك ، وشارك
فيه مترجمون ونقاد عظام ، على رأسهم الأستاذ أنيس منصور الذى ترجم
العديد من أعمال دورينمات ، وأتاح لها الخروج على خشبة المسرح ، ثم زارنا
فريدريش دورينمات فى مصر فى ديسمبر من عام ١٩٨٥ بدعوة من الدكتور
مدوح البلتاجى ، آنذاك رئيس هيئة الاستعلامات ، ونشرت بهذه المناسبة كتاباً
تسجيلياً يضم دراسات ونصوصاً مترجمة ، « اللقاء دورينمات فى مصر »
(١٩٨٨) وعقدت فى صالونى الأدبى جلسة طويلة مع دورينمات حضرها
يحيى حقى وصلاح جاهين وجلال العشرى ، وأ.د . عماد فضلى وأ.د عبد
الرحيم عبد الله وغيرهم من الأدباء والنقاد والمفكرين ، وأحدث هذا اللقاء
الشخصى أيضاً أثره .

وهذا الذى حدث مع دورينمات تكرر بالنسبة إلى ماكس فريش مع بعض
الاختلافات ، فهو لم يلق من سعة الانتشار فى مصر ما لقيه دورينمات ، ولكن
المهتمين بالثقافة الرفيعة نقلوا باقة مختارة من أعماله أذكر منها «سور الصين»
من ترجمة سمير التندواى ومراجعة عبد الرحمن بدوى ، ونشرت له فى عام
١٩٧٤ ترجمة لمسرحية « قصة حياة » شرفنى بمراجعتها صديقى أ.د .

محمود فهمى حجازى ، وزارنا فريش فى مصر فى عام ١٩٨٥ ، ولا زلت أذكر ما دار بينى وبينه من حديث عن مشكلة الهوية الثقافية التى اتخذت فى زماننا الحاضر صورة ديناميكية ، وأصبح الإنسان يبحث بحثاً مستمراً لا ينقطع عن هويته هذه المتغيرة ليكون على بينة منها على كل حال . وكان أحد الصحفيين الكبار حاضراً فنشر فى صحيفته فى اليوم التالى نقداً عنيفاً لرأى .

وإذا كنت أخرج اليوم هذه الترجمة من أوراقى القديمة لتظهر فى كتاب ، فإننى أتصورها مشاركة متجددة فى استقبال آثار هذا الأديب واستقبال الأدب السويسرى الألمانى بصفة عامة ، وفى تقديرى أن الأدباء السويسريين فى عصرنا الحاضر يكتبون من موقف خاص هم على وعى به ، وهو أنهم يعيشون فى مكان محدود ضيق قد يتصورونه على هيئة الجزيرة أو الحى المقفول أو الرنزانة ، على ما فيه من جمال وثناء وحرية وقدرة كاملة على الدخول والخروج ، فهم على قلة عددهم لهم ثقافة يتمسكون بها ، ولكنها تنتمى إلى عالم الثقافة الألمانية الواسع ، وهم ينظرون من نافذتهم الضيقة إلى عالم فسيح يكتبون له الأدب أو ينشعون له الفنون ، ولهذا نجد دورينمات وفريش على ما بينهما من اختلاف يكتبان أدباً عالمياً ، أعنى أدباً للعالم ، وهذا يعنى أن للأديب السويسرى المعاصر يسعى بصفة مبدئية أساسية إلى إقامة العلاقة بين عالمه المحلى الصغير أشد الصغر وبين عالم الكون الواسع ، فقد يصف إنساناً يلوح لك كأنه يعانى من مشكلة نفسية أو مشكلة اجتماعية تمس كيانه الفردى ، فإذا تعمقت الدرس وجدت هذا الفرد أقرب ما يكون إلى خيط فى نسيج العالم كله يتصل به مروراً بخليته الاجتماعية الأسرية أو المهنية أو الطائفية ثم بمجمعه الكبير ،

فهو يعانى مما يعانى منه العالم من مشكلات فلسفية وأخلاقية وعقائدية وسياسية ، وهأتذا تدرك أن هذا الذى يصفه يعينك ، ويحرك قلبك وفكرك ، فإذا كان الكون كله يعيش اليوم فى خوفٍ عام من فناء البيئة ومن مخاطر الطاقة ومخلفات الحضارة ومن الحرب ومن التسليح ، فالفرد الخائف الذى نلتقى به فى أعمال دورينمات وفريش وموشج وفوجت وغيرهم ليس خائفا لأسباب نفسية محدودة بذاته ، ولكنه يعانى من خوف يتنزل عليه من المجتمع ومن المحيط الثقافى الذى يضم هذا المجتمع بين جناحيه ومن المحيط الأوسع الذى هو الكون قاطبة .

ولهذا فقضايا القهر والحرب والحضارة والبيئة والحرية والاستغلال والهوية من القضايا التى يهتم بها الكتاب السويسريون ، ولهم فى معالجتها منظور يقوم على الجمع بين الفرد فى عالمه الصغير والإنسانية فى عالمها الكبير ، ومن الخير أن تطرح القضايا من هذا المنظور أيضا ففى ذلك ثراء لا مرأى فيه فى خبراتنا بأنفسنا وبالغير .

كلمات عن حياة ماكس فريش :

(١٩١١ - ١٩٩١)

لدينا سيرة ذاتية موجزة كتبها ماكس فريش فى عام ١٩٤٨ أعيد ترجمتها هنا ، مع تصحيح وشرح ، فما زلت أرى من الخير أن نستعين بها ، وأن نبني عليها عندما نتحدث عن حياة هذا الكاتب ، يقول : « ولدت فى عام ١٩١١ فى زيوريخ ، وليس اسم عائلتنا سويسرى الأصل ، فقد جلبه جدى من المنطقة النمساوية المجاورة عندما نزع منها فى صدر شبابه ليقيم فى سويسرا . وكان

جدى هذا يحترف صناعة السروج : ويبدو أن المقام طاب له فى زيوريخ فتزوج بواحدة من أهلها ، من أسرة رقيقة الحال تتسمى باسم نيجلى Naegli ، وكانت أسرة والدتى مختلطة الأصل ، فقد نزح جدها الأكبر واسمه فيلدرموت Wildermuth من فيتمبرج بألمانيا ، ونعرف عن ابنه ، وهو جدى المباشر ، أنه طرق سبيل الفن ، وصمم على أن يكون رساماً ، واتخذ رباط عنق ضخماً ، كان أكثر جرأة من رسومه ولوحاته ، وتزوج جدى هذا من واحدة من أهالى بازل من أسرة شولتهيس ولم تستطع جدتى طوال حياتها أن تنسى أن أسرتها كانت تمتلك عربة خاصة تجرها الجياد ؛ وعمل جدى ناظراً لمدرسة الحرف الصناعية ببلدتنا . هذا هو كل ما أعرفه عن أصلى . أما أمى فقد أحببت أن ترى الدنيا البعيدة فذهبت إلى روسيا القيصرية ، وعملت هناك مربية أطفال ، وما أكثر ما كانت أمى تحكى لنا عن روسيا القيصرية تلك وعمما شاهدته فيها . أما أبى فكان يعمل فى البناء . لم يكن قد وجد إلى الالتحاق بالمدارس العليا من سبيل ، فما كان إلا ابن سروجى ، ولهذا كان أمله بطبيعة الحال أن يرى ابنه وقد حصل على الشهادات العالية . وترك أبى لكل منا أن يختار تخصصه فاختر أخى الأكبر الكيمياء التى ملأت سنوات صباه كما ملأت مطبخ بيتنا بصنوف من السحر كريهة الرائحة . فإذا حلت ساعات العصر يوم الأحد شهد أهل البيت مشهداً ألفوه فى ذلك اليوم من أيام الأسبوع ، ورأيت أنه كلما هطل المطر وحال بينى وبين ممارسة كرة القدم ، وبقيت فى البيت ، مشهداً تتصافر خيوطه على النحو التالى : كتاب الكيمياء على رف الشباك ، المعوجات تتصاعد منها الأبخرة الصفراء ، موقدُ بنزن ، الأنابيب التى تحاكي المعوجات الزجاجية ، وبين الفينة والفينة تدوى فرقة اصطنعها أخى أو حدثت بالرغم منه .

ولست أعرف لماذا كنت بين رفاقي جميعاً الوحيد الذى لم يقرأ روايات كارل ماي Karl May] وروايات كارل ماي (١٨٤٢ - ١٩١٢) روايات مغامرات شيقة فيها شيء من التحامل على الشرق ، تدور أحداثها فى بلاد غريبة بالنسبة إلى الألمان ، منها مصر وغيرها من بلاد الشرق ، وهى - على ما فيها من عيوب - من أكثر الروايات انتشاراً بين الصبية الألمان لاتكاد تجد منهم من لم يقرأها . [بل الحقيقة أننى لم أقرأ لا هذه الروايات ولا غيرها من الكتب باستثناء « دون كيشوته » و « كوخ العم توم » وهما كتابان ملكا علىّ نفسى على نحو لا سبيل إلى التعبير عنه بكلام ، فاكتفيت بهما ، أما ما شغفت به شغفاً عارماً لا سبيل إلى إشباع نهمه فكان كرة القدم ثم المسرح ، وتأثرت أشد التأثر بمسرحية شيللر « قطاع الطرق Die Rauber » عندما قدمت فى عرض مسرحى يبدو أنه كان ضعيفاً جداً ، ولكننى أعجبت بالمسرح إعجاباً بالغاً جعلنى لا أفهم لماذا لا يذهب الناس ، أعنى الكبار ، إلى المسرح ليقضوا فيه كل أمسياتهم ، وما الذى يمنعهم وقد توفر لهم مصروف الجيب ورفعت عنهم الواجبات المدرسية .

وما مضى شهران بعد مشاهدتى هذا العرض حتى أرسلت إلى ما كس راينهارد Max Reinhard بالمسرح الألمانى فى برلين خطاباً أنبئه فيه بمسرحيتى الأولى التى كتبتها بعنوان « شتال » ولا أذكر من هذه المسرحية إلا أن أحداثها كانت تدور بالليل على سطح عمارة عالية ، وأن أدخنة صفراء كتلك التى تتصاعد من الموجات انبعثت عالية من كل نوافذ المدينة الكبيرة ،

وأن البطل الكريم لم يجد أمامه سبيلاً إلى النجاة يجربه فألقى بنفسه من علي . وجاءتني بطاقة بريدية عليها طابع بريد أجنبي [ألماني] تطلب مني بعبارة موجزة مهذبة إرسال النص الذي تحدثت عنه ، وكانت هذه البطاقة أول مكتوب تلقيته في حياتي جاء فيه اسمي مسبقاً بكلمة : السيد كنت آنذاك في السادسة عشرة من عمري ، ولقد أجزنتني أن أبي لم ير في الأمر أكثر من لعبة من عبث الصبية ، كان قد وجد البطاقة في صندوق الخطابات فأخذها وعندما جلسنا لتناول الغداء أبرزها ووضعها على المائدة فتناولتها ، وخرجت من الحجرة على الفور حانقاً أظن أنني لن أعود إليها مرة أخرى وانقضت أسابيع سبعة عاودتني فيها أكثر الآمال جرأة ، وكيف لا ، ألم يكن فريدريش شيللر Friedrich Schiller عندما كتب مسرحيته « قطاع الطرق » في الثامنة عشرة ؟ وعاد إليّ البريد بالكراسة الجميلة التي كنت قد كتبتها في غرفة منعزلة فوق سطح البيت على آله كاتبة استأجرتها لهذا الغرض ، ووجدت مع كراستي التي ردت إليّ تقريراً تفصيلياً لم أفهم منه شيئاً ، كما وجدت دعوة إلى إرسال أعمالى التالية ، وكانت هذه الدعوة هى الشيء الوحيد الذى واجهت به الأسرة وهى ترمقنى بابتسامة كلها إشفاق .

واكتشفت بطريق المصادفة فى أحد متاجر الكتب مؤلفات هنريك إبسن Henrik Ibsen الكاملة ، وما طالعتها حتى تبينت أنها مسرحيات تستحق الثمن الذى دفعته فيها . وفى تلك الفترة التى سبقت تقدمى إلى امتحان الثانوية العامة - ذلك الامتحان الذى كنت أعتبره شيئاً شكلياً تافهاً ومضحكاً وسخيفاً على أن أتقدم إليه إرضاء لأبى - كتبت عدة أعمال ، ثلاث أو أربع

مسرحيات ، من بينها مسرحية كوميدية موضوعها الزواج ، كتبتها أنا الغر الذى لم أكن حتى ذلك الحين قد قَبَلت فتاة ، ومن بينها أيضا تمثيلية هزلية تهريجية من نوع الفارص تدور حول غزو القمر ، وكان الشيء الوحيد الذى اعترفت الدنيا لى به من هذه الأشياء كلها هو شهادة الثانوية العامة ، وبذلك أصبح التحاقى بالجامعة أمراً لا مفر منه ...

أذكر سنتين عجيبتين قضيتهما قلقاً فى مدرجات الجامعة وفى ردهاتها أيضا . أحسست بالقلق وبالوحشة والاندفاع فى إصدار الأحكام وبالشك فى النفس ، وكثيراً ما اعتصرنى حب عفيف لا تعلم الحبيبة عنه شيئاً . ولجأت إلى الفلسفة الخالصة يحدونى شوق عارم صادق إلى معرفة الحقيقة ، فلم أزد عن أن أكتشفت ما فى فكرى من عجز وقصور ، وكانت مادة تخصصى التى عكفت على دراستها هى اللغة الألمانية وآدابها ، ولكننى وجدت بالجامعة محاضرات أخرى ظننتها أكثر قرباً من الواقع وأكثر اقتراباً من سير أغواره . كان الأستاذ كليريك Cleric الذى انتحر فيما بعد ، يصور لنا الوجود الإنسانى فى صورة غريبة ، وكأنه يعكس لنا صورته مقلوبة مشوهة تشوّهاً أتما فى مرآة مقعرة ، أما الاستاذ العجوز فولفلين Wolfflin فكان يقف رائعاً وغريباً ، بعيداً عما يخالجنا من اضطراب ، ممسكاً فى يده بعضاً من الخيزران كالرمح ، مبيناً مفاهيمه الأساسية ، عارضاً كل شيء بعباراة ناصعة كالمرمر ، كذلك استمعت إلى محاضرات فى علم اللاهوت من أفواه مشاهير الأساتذة ، فكنت تارة أختلف إلى هذه ، وتارة أخرى أختلف إلى تلك . والإنسان يفيد يقيناً من فترة القلق فائدة أكبر مما يظن عندما يكون غارقاً فيها متبرماً منها ، ولعل إحساسى

المتزايد بأن كل ما سمعته في الجامعة يفتقر إلى نقطة التقاء مشتركة تتوسطه ،
وبأن الموضوعات الدراسية يتكسد بعضها بجانب البعض الآخر كالبضائع في
المتاجر في ذلك الشيء الذي يسمونه الجامعة ، كان إحساساً صادقاً ، بل لعله
كان معرفة بالحقيقة ، أياً كان الأمر فقد كان شعوري هذا علة محببة إلى
نفسى أعلل بها عجزى عن النجاح في مجال العلم .

ولما بلغت الثانية والعشرين مات أبى . ويات على أن أبحث عن مصدر رزق
فعملت صحفياً ، وكانت مهمتى تتلخص في أن أصف كل ما يُطلب منى
الذهاب إليه ووصفه : مواكب مهرجانات ، محاضرات عن بوذا ، صواريخ
وألعاب نارية ، حانات الدرجة السابعة ، حدائق ، مباريات سباحة ، مظاهر الربيع
في حديقة الحيوان ، لم أرفض مما طلب منى سوى شيء واحد : هو وصف
حرق الجثث [التى كان أصحابها يوصون بحرقها بعد موتهم على نحو ما
تفعل طوائف في الهند وغيرها] . ولقد كان هذا العمل الصحفى مدرسة
أفدت منها فائدة لا مرء فيها . فلما تقرر إقامة مباريات بطولة العالم فى
هوكى الثلج فى براغ تقدمت للعمل مراسلاً صحفياً هناك ، وتأهبت للرحلة
بعد أن اشترت أول حقيبة فى حياتى ، ولم يكن معى من المال سوى مائة
فرنك سويسرى . والرأى عندى أن هذه الرحلة التى كانت أول رحلة لى فى
خارج سويسرا قادتنى مع كل مقال كتبته خطوة بعد خطوة إلى مدارج العالم
البعيد ، وكانت مقالاتى تنشر فى سويسرا أو فى المانيا .

هكذا ذهبت إلى المجر ، وهكذا تجولت فى ربوع صربيا وبوسنيا ودالماسيا ،
وسرعان ما ربطتنى علاقات صداقة بعدد من النازحين الألمان ، وقضيت الصيف

كله هناك أتجول بالمركب الشراعى أياماً بطولها على الساحل [ساحل البحر الأدرىاتىكى] لا أحمل عبء واجب تثقل على تأديته ، حرّاً طليقا ، أستقبل ما يأتينى به الحاضر راضياً قرير العين . هذه هى فى الحقيقة كل ذكرياتى عن سنوات شبابى .

ثم يممت بعد ذلك شطر البحر الأسود الذى طالما حدثتنا أمى عنه ، وذهبت إلى القسطنطينية حيث شاهدت المساجد وعرفت الجوع ، ووصلت بعد طول اشتياق إلى [قلعة] الأكروبوليس [التى تطل من فوق الجبل على أثينا] ، ثم تجولت فى المنطقة الوسطى من بلاد اليونان ، أسير على قدمى نهاراً ، وأنام فى العراء ليلاً ، بل قضيت الليلة ذات مرة فى معبد أثرى صغير . كان هذا الوقت بالنسبة إلىّ وقتاً ثرياً عامراً بالأحاسيس ، نعمت فيه بالسعادة ، لم تعكر صفوها إلا سحابة حزن على امرأة فى ريعان الشباب اختطفتها يد المنون فجأة على غير انتظار وجاءت روايتى الأولى ثمرة هذه الفترة فكانت زاخرة بالصبا والشباب .

فلما رجعت من رحلتى إلى الوطن احتجت إلى عامين آخرين لأتبين حقيقة الصحافة الأدبية ، ولأدرك النهاية التى ينتهى إليها الإنسان إذا أمسك القلم - فى أوقات لا يكون لديه فيها ما يقوله - وكتب شيئاً ينشر على الناس لا يرجو من ورائه إلا الحصول على ما يعيش منه ، وعدت إلى الدراسة الجامعية مرة عندما بلغت الخامسة والعشرين . فقد رأيت إحدى الصديقات ، عندما فكرنا فى الزواج ، أنه ينبغى علىّ قبل ذلك أن أصبح شيئاً ، وعبرت هذه الصديقة بذلك عما كان يدور بخلدى . ومهما يكن من أمر فقد أحسست بصدمة

عندما تصورت على نحو جاد أن حياتى يمكن أن تتعرض للفشل ، وكنت فى ذلك الوقت أقرأ رواية « هاينريش الأخضر Der grune Heinrich » [وهى الرواية التى يحكى فيها الكاتب السويسرى العظيم جوتفريد كيللر Gottfried Keller (١٨١٩ - ١٨٩٠) قصة حياته وقد حولها إلى قصة تنتهى بمأساة ، بطلها شاب تحمله أمواج حياة الفن المضطربة ، ولا يقيم لنفسه حياة منتظمة يقبلها المجتمع] . وأذهلنى هذا الكتاب بما تضمنته صفحات كثيرة فيه من عبارات بدت لى كنبوءة تصور لى مستقبل حياتى ، فلا غرابة فى أن يقوم هذا الكتاب منى مقام الأب ، بل مقام خير أب [يحض الابن على أن ينتظم فى الدراسة الجامعية ليتهاى لحياة مطمئنة] .

وهكذا قر قرارى على أن ألتحق بالجامعة مرة أخرى ، وما كان قرارى هذا ليصل إلى غايته لو لم يواكبه حظ وافر تمثل فى صديق [من أيام التلمذة] عرض علىّ أن يتولى الإنفاق على معاشى طوال أربعة أعوام ، وهكذا استطعت العودة إلى الدراسة الجامعية [فى عام ١٩٣٦] ، والتحققت فى هذه المرة بالكلية السويسرية للهندسة ، وكنت فى البداية أحس بالبهجة كل البهجة إذ استطعت أن أقعد مقعد التعلم كل يوم عندما يسفر الصباح ، لا أحمل هم دخل شهرى لأنفق على أم وابن ، بل أعكف بدلاً من ذلك على الرياضيات العالية . ولكننى أخذت فيما بعد أحس بنوع من الألم المكبوت ، والخوف من تضييع شبابى دون أمل فى تحقيق هدف أبدا . وما لبثت علاقاتى بالناس أن تقطعت الواحدة بعد الأخرى ، ولم يكن من الممكن الجزم بأن ممارستى لمهنة المهندس المعمارى - إذا كنت سأملك مؤهلاتها وأصلح لها يوماً ما ستصح

علاقتي بالعالم ، لأن كل شيء كان كخطوط لا تزال على الورق لم يتجسم منها شيء ، ولم يكن الدافع الذي دفعني إلى مهنة الهندسة المعمارية هذه إلا عكس ما كان عليّ أن أعكف على تعلمه في تلك الفترة الأولى ، فما دفعني إلى تعلمها إلا السعي إلى معرفة ما لا تضمنه أوراق السعي إلى الشيء الملموس ، اليدوي ، المادى ، وبات عليّ أن أصبر وأنتظر الانتقال من مرحلة الرسم والتصميم إلى مرحلة البناء عملياً ، وبخاصة مرحلة تنفيذ تصميماتي لأتبين هل كانت انطلاقتي الثانية إلى الدراسة الجامعية خاطئة أو صائبة .

أيا كان الأمر فقد جمعت ذات يوم كل ما كنت كتبتة وحزمتة حزماً حزماً وألقيت به في النار ، وكان فيها كراسات يومياتي ، ولقد ذهبت إلى الغابة مرتين ، لأن الحزم كانت أكثر من أن أحملها جميعاً دفعة واحدة ، وما زلت أذكر أن الجو كان مطيراً ، وأن النار كانت تنطفئ المرة بعد المرة من البلل فأعيد إشعالها ، حتى أتيت على علبة عيدان الثقاب كلها ، وأخيراً تم لى ما أردت ، وأن لى أن أعود إلى البيت ، وقد غشيني إحساس بالارتياح وشعور بالفراغ في وقت معا ، وبقيت عامين كاملين لا أنكث الوعد الذي قطعتة على نفسى سراً ، وهو ألا أعود إلى الكتابة ، ولم أعد إلى الكتابة إلا يوم أعلنت التعبئة العامة في البلاد ، وطلبت للخدمة العسكرية في سلاح المدفعية ، عند ذلك أمسكت القلم وبدأت كراسة يومياتي ، موقنا من أن الحرب [العالمية الثانية] ستدور علينا ، ومن أننى لن أعود إلى دارى حيا . ولا زلت أذكر ضابطاً برتبة نقيب في الجيش ، لم يحتمل شكلى ، وهو حر [فيما يحتمل وما لا يحتمل من أشكال البشر] ، قال لى في الثالث من سبتمبر [من عام

١٩٣٩] صراحةً وفي غير مواردٍ إنه سيرسلنى إلى الموقع المناسب عندما تبدأ الحرب ، تلك ذكرى لن أنساها ، وما أظن أن هذا [الذى كان يدبره لى] يمت بسبب إلى التضحية من أجل الوطن . وانقضت أعوام ، أدركت بعدها أن هذا الضابط الذى لم تتح له قط فرصة التصرف فى حياتى أو موتى ، لأن الحدود [السويسرية] ظلت هادئة ، مكنتى من خبرة حاسمة . ونشرت كراسة اليوميات هذه فى عام ١٩٤٠ بعنوان «أوراق من كيس الخبز» Blatter aus dem Brotsack وهى يوميات انقطعت عنها عندما حصلت على إجازة من الجيش .

فعندما هزمت فرنسا ، وأصبحنا فى وضع الأسرى ، حصلت من الجيش على إجازة شخصية للتقدم إلى امتحان الدبلوم العالى للهندسة المعمارية ، واعتمدت مهندساً معمارياً [فى عام ١٩٤١] وأصبح فى مقدورى أن أكسب قوتى بالعمل فى غير أوقات الاستدعاء للخدمة العسكرية ، وقد ربا عدد الأيام التى كلفت فيها بالخدمة العسكرية فى تلك السنوات عن خمسمائة يوم ، قضيت غالبيتها فى منطقة تيسين ثم إنجادين ، وتزوجت [فى عام ١٩٤٢] بمهندسة معمارية شابة كانت تساعدنى فى العمل على منضدة الرسم ، وتعد لى طعام الغداء [هى كونستانته فون ماينبورج Constanze von Meyenburg] وكنا قد اشترطنا معا فى بناء بيت لنا . وما مر بعض الوقت حتى صدرت روايتى « أحب ما يحرق ، أو المتعبون » J'adore ce qui me brûle oder die Schwierigen فى عام ١٩٤٣ وتلقيت رسائل قليلة تمثل صدق ظهور هذه الرواية ، أذكر من بينها رسالة قليلة السطور أرسلها إلى

كورت هيرشفيلد Kurt Hirschfeld مدير مسرح زيوريخ يحثني فيها على خوض تجربة الكتابة المسرحية ، وبدأت حياتي بصفة عامة تشهد فترة من الاطمئنان البطيء لم نكن قد نجونا من الحرب بعد ، ولكن علامات نهاية الحرب كانت قد اتضحت ، وكانت عملية غزو سويسرا قد وُثِدَت في مهدها ، تلك العملية التي ظلت طوال سنوات تدريب بنا وأثبتت الوثائق بعد ذلك أنها كانت مبيتة ومجهزا لها بدقة ، وأن موعد تنفيذها كان هو إبريل ١٩٤٣ ، أى بعد ستالنجراد ، وكان الهدف منها أن يجد قراء الصحف في ألمانيا على الأقل خبر انتصار ألماني صغير يتلهى به [بعد الهزيمة الساحقة التي منيت بها قوات هتلر في هذه الموقعة التي كانت بداية النهاية] وتغيرت النية المبيتة قبل موعدها المقرر بعشرة أيام بعد أن تمكنت الجاسوسية من الكشف عنه ، وهكذا تحققت لنا النجاة .

ثم رزقنا بطفلنا الأول ، وابتسم لنا الحظ فحصلنا في مناقصة على عملية معمارية مغرية كبيرة [مشروع بناء حمام سباحة] ، فاستطعنا أن نفتح مكتبا هندسيا خاصا بنا ، مما أتاح لنا حرية أكبر في تنظيم ساعات عملنا ، ونشرت كتابا من النشر يحمل طابع الأحلام هو « بسن أو الرحلة إلى بكين Bin oder die Reise nach Peking » في عام ١٩٤٤ كتبت بعده « سانتا كروتس Santa Cruz » وهي مسرحية من نوع الرومانسية ظلت طوال شهرين في الخريف تدخل البهجة أكثر البهجة على جمهور المسرح ، وبعد ستة شهور أخرى خرجت على الناس بمحاولة مسرحية من نوع أناشيد التأبين بعنوان « ها هم أولاء يعودون إلى الغناء Nun singen sie wieder » كتبتها في

أسابيع قلائل ، وكانت أول عمل يخرج على المسرح ، فى عيد القيامة من عام ١٩٤٥ عندما وضعت الحرب أوزارها وظن الناس أن السلام يوشك أن يشق طريقه ولعل فترة إجراء البروفات التى وجه مسارها كورت هورفيتس Kurt Horwitz باهتمام موضوعى كبير هى أجمل فترة كان يمكن للمسرح أن يتيحها لى ، لقد كانت هى اللقاء الأول مع عباراتى ينطق بها ممثلون نابضون بالحياة يجسمون الشخصيات .

أما الأسابيع الأخيرة من الحرب فقد أمضيتها فى الخدمة على الحدود السويسرية النمساوية تارة ، والحدود السويسرية الإيطالية تارة أخرى ، وقمت برحلتى الأولى فى ربوع ألمانيا التى خربتها الحرب وكتبت فى أعقابها مسرحية « سور الصين Die chinesische Mauer » وهى مسرحية هزلية من نوع الفارص داخلتها منذ ذلك الوقت وشائج تشاؤم يائس . وظهر العرض الأول أيضاً على مسرح زيوريخ فى خريف عام ١٩٤٦ .

وكنت كلما سمحت لى ظروف العمل أقوم بمزيد من الرحلات إلى البلدان المجاورة ، وكان شوقى إلى التعرف على أهل زمانى من الجيران شوقاً كبيراً بعد سنوات الحرب الخمس التى كنا إبانها سجناء فى ديارنا . والرأى عندى أن المشاهدة الشخصية ومعاينة الأشياء من الأمور البالغة الأهمية فى عالمنا هذا الذى جن بالأحكام المسبقة جنون المسحور [الذى لا يفك سحره] ، وظهر الجزء الأول من « كراسة اليوميات » التى قامت على المشاهدة الشخصية بعنوان « يوميات مع ماريون Tagebuch mit Marion » فى عام ١٩٤٧ .

وكنّا في هذه الأثناء قد وصلنا في استعداداتنا [في المكتب الهندسى] إلى مرحلة البدء فى تنفيذ المشروع ، وليست ممارسة الإنسان لمهنتين ، هما الأدب والهندسة المعمارية بالشىء السهل دائماً بطبيعة الحال ، على الرغم مما يحدثه هذا الجمع من تأثيرات مباركة عامرة بالخبرة ، وليست القضية فى المقام الأول قضية الوقت ، بل القدرة ، أما التأثيرات التى أراها مباركة عامرة بالخير فهى أن هذا الجمع أتاح لى أن أعمل يومياً مع رجال لا شأن لهم بالأدب ، يدركون بين الحين والحين أننى « أقرض الشعر » ولكنهم لا ينكرون علىّ هذا العمل مادام العمل الآخر فى مجال البناء والعمارة يتم كما ينبغى . وآخر ما كتبت من أدب مسرحية يدور موضوعها حول برلين هى مسرحية « عندما انتهت الحرب Als der Krieg zu Ende war » وهى الآن فى أيدي الأصدقاء»

هذه السيرة الذاتية الموجزة التى كتبها ماكس فريش فى عام ١٩٤٨ تحتاج إلى الإكمال على الأقل لنصل بها إلى نهايتها ، نراه فى عام ١٩٥١ يحصل على جائزة كونراد فرديناند ماير السويسرية ، وعلى منحة أمريكية تتيح له جولات فى ربوع الولايات المتحدة الأمريكية وزيارة المكسيك . ونتابع أعماله الأدبية فنجدّه ينشر مسرحية « جراف أودرلاند Graf Oderland » فى عام ١٩٥١ ، وخرج على الناس فى عام ١٩٥٣ بعملين هما مسرحية « دون جوان أو حب الهندسة Don Juan oder die Liebe zur Geometrie » ومسرحية « بيدرمن ومشعلو الحرائق Biedermann und die Brandstifter » التى أرادها فى البداية تمثيلية إذاعية ثم حولها إلى مسرحية بعد ذلك ، وفى

عام ١٩٥٥ اتخذ قراره بإغلاق المكتب الهندسى ليعيش من الأدب وللأدب .
يلفت النظر فى حياة ماكس فريش أنه أديب يحب المشاهدة والترحال ،
وقد تتكرر رحلاته فيزور بلاد أوروبا الشرقية مراراً ويزور أمريكا كثيراً ، وقد تطول
رحلاته فيقيم سنوات خمساً فى روما بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٥ ، وتراه بعد
طول إقامة فى مسقط رأسه زيوريخ ينزح عنها ويقيم فى بيرتسونا بمنطقة تيسين
أما زوجته المهندسة فقد انفصل عنها عندما ترك المكتب الهندسى وارتبط
بعلاقة وثيقة بالأديبة والشاعرة النمساوية إنجبورج باخمن -Ingborg Bach-
mann من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٦٢ ، ثم تزوج فى عام ١٩٦٨ زوجته
الثانية ماريانه أولرس Marianne Oellers التى انفصل عنها فى عام ١٩٧٩ ،
وتوفى فى زيوريخ فى إبريل من عام ١٩٩١ وقد قارب الثمانين .

آثاره :

صدرت الطبعة الكاملة فى ٧ مجلدات من عام ١٩٨٦ إلى عام ١٩٨٥
ضمت أكثر النشريات التى كانت قد صدرت حتى ذلك الحين . وماكس
فريش فى نظر الكثيرين كاتب مسرحى وكاتب رواية وقصة ، ولكن كتاباته التى
شمل بها اليوميات والمقال الصحفى والمقال الأدبى والتمثيلية الإذاعية
والتليفزيونية بالغة الأهمية .

ومن يتناول ماكس فريش بالدرس المدقق يجده كثيراً ما يتناول أعماله
بالتحوير وبالصياغات الجديدة مما يطرح المزيد من الأسئلة عن هذا القلق الفكرى
والفنى فأكثر المبدعين يرفعون أيديهم عن الأعمال التى يتمونها ويتركونها تعبير

عن لحظة نشأتها ، ولكن من المبدعين أيضا من يظلون مشغولين بالعمل بعد خروجه إلى الناس ، لا يكفون عن تحويره ، وماكس فريش من هذه الطائفة الثانية .

ونظرة سريعة إلى موضوعاته تبين لنا أنه كان في البداية مشغولا بموضوعات مباشرة مثل الحرب والسلام ، وموضوعات من حياته ومشاهداته ثم بدأ في مراحل النضج يخرج إلى الإطار العالمي الكوني الذي أشرنا إليه في صدر هذا الحديث . كتب عن الحرب العديد من المسرحيات المباشرة نذكر منها « هاهم أولاء يعودون إلى الغناء » التي ظهرت في عام ١٩٤٦ ، وكان للكتاب والقراء الألمان فيها سلوان ، فقد انقلب عصر النازية ، وبدأ عصر ما بعد الحرب ، وكانوا يتلمسون علامات الطريق ، وينصتون إلى أصوات العائدين كما ينصتون إلى أصوات المتعاطفين .

وقد نظن عندما نقرأ قصة حياة ماكس فريش عن دخوله عالم المسرح أنه شق طريقه معتمداً على عبقريته الخلاقة الفذة دون تأثر بأصحاب النظريات المعاصرين والحقيقة أنه تأثر بهم على نحو أو آخر متفقا ومعارضاً ومجدداً ، وليس تأثره بيرت بريشت Bert Brecht موضع شك ، على الرغم من أنه لم يذكر في سيرته المختصرة لقاءه به في زيوريخ بين عامي ٤٧ و ١٩٤٨ ، وعلينا أن نقبل في يومياته التي سجلها آنذاك لتكشف عن جوانب هذا التأثير . ونلاحظ التشابه في التقنية المسرحية وفي المفاهيم الاستطبيقية المتداخلة مع المفاهيم التعليمية والتنويرية والنقدية في العديد من الأعمال وبخاصة في بيدرمن ولكن ماكس فريش كان أبعد ما يكون عن التقوقع في داخل قالب إيديولوجي ، بل كان منفتحاً على الدنيا والناس ، على البعيد والآخرين ، لا يفتأ يجدد خبراته ، ويكتب مغترفاً من معين متجدد .

هكذا تراه قد تأثر أشد التأثر بجولاته فى الولايات المتحدة على نحو ما نرى فى رواية شتيللر Stiller (١٩٥٤) وقصة هومو فاير Homo Faber (١٩٥٧) وكانت هذه الأعمال تشهد على الانطلاق بعيدا عن الحيز المحلى الضيق ، والاقتراب المتزايد من موضوعات لها صفة العمومية نذكر مسرحية أندورا Andorra التى حققت نجاحاً كبيراً فى عام ١٩٦١ وهى تعالج موضوعات التسامح وترفض التمييز القائم على العنصر والدين ، وتتمثل خاصة بما جرى على اليهود . من أعماله التى تتناول موضوع الهوية نذكر مسرحية قصة حياة Biografie (١٩٦٧) ورواية ليكن اسمى جانتنبين - Mein Name sei Gan- tenbein (١٩٦٤) وموضوعها المحورى هو الهوية الذاتية ، وعلى وجه التحديد موقف الفرد من الأنا يقبلها أو يرفضها عندما يتبين ما أطبق عليها من زيف وما أحاط بها من تصورات ملفقة وبطولات كاذبة ، ومواقف من الحرب يرى فيها الاثم نفسه ويفخر بما لم يفعله .

ومن أعماله المتأخرة نذكر تريتيكون Triptichon (فى عام ١٩٧٨ ، صياغة ثانية فى عام ١٩٨١) وبلاوبارت = Blaubart = ذو اللحية الزرقاء فى عام ١٩٨٢ .

وليس من شك فى أن ماكس فريش استحسن مشروع إقامة أرشيف لأعماله وما يتصل بها من شواهد ومصادر وما كتب عنها وما أحدثت من تأثير وهو الأرشيف الذى أقامته كلية الهندسة فى زيورخ ، معترفة بفضل تلميذها الذى بلغ من بلغ من الشهرة العالمية . وقد شارك فريش منذ عام ١٩٧٩ مشاركة فعالة فى إقامة هذا الأرشيف الخاص وأمد به بما لديه من مخطوطات ووثائق .

بيدرمن :

كتب ماكس فريش بيدرمن في البداية لتكون تمثيلية إذاعية « السيد بيدرمن ومشعلو الحرائق » (١٩٥٣) ثم صاغها مسرحية بالاسم نفسه تقريباً ، بعد أن حذف كلمة « السيد Herr » (١٩٥٨) وحققت المسرحية نجاحاً كبيراً لعله أكبر نجاح عرفه عمل من أعمال المسرحية على الإطلاق . يضم النص في نسيجه العام مجموعة من أفكار فريش الرئيسية مثل رفض الحرب والعمل من أجل السلام ، وبخاصة السعى من أجل إقامة مجتمع جديد يحقق العدالة والسعادة على نحو متوازن ، وهو حلم قرب ماكس فريش من مواقف المعارضة والتجمعات اليسارية والأحزاب الاشتراكية ، وهو لا يعرف حلاً جديداً ولكنه على يقين من أن الإنسان يعاني في عالم مبهم يزداد إبهاماً ، ومن القوى يحلم بمزيد من القوة ، والغنى بمزيد من الغنى ، على حساب من يترفعون أو يعجزون أو يتعرضون للاستغلال .

فهو هكذا يعالج موضوعاً فلسفياً أخلاقياً اجتماعياً يحفز القارئ على التفكير في كثير من الترابطات والإسقاطات ، أما القالب فهو قالب شبيه بالأسطورة وشبيه في الوقت نفسه بالمسرحية اليونانية ذات الكورس الذي يتحدث بلسان الضمير .

والشخصية المحورية السيد بيدرمن رجل « شاطر » اختار له فريش هذا الاسم الألماني المركب الذي يثير فينا هذا الإحساس أنه رجل من أهل هذا الزمان هدفه النجاح الذي يترجم إلى مال وأبهة ونفوذ واستغلال ، وهو في سبيل هذا

الهدف يدوس القيم الأخلاقية ولا يهتم بالأبعاد الاجتماعية أو الإنسانية ،
والأمثلة التي نعيشها في هذا العمل الضاحك الباكي تتخلص في أن هذا
الرجل ، إذ يظن أنه يزداد ثراء وقوة وحنكة وقدرة على التصرف ، يزداد في
الحقيقة خوفاً وعجزاً وضعفاً وسخفاً ، وهو يتعامى ، ويضلل نفسه بوسائله
التزييفية حتى ينتهي به الأمر إلى الاشتراك مع مشعل الحرائق في حرق بيته ،
وهو يتصور أنها لعبة من الألعاب التي تمكن منها ، ولن تلبث أن تنتهي
لصالحه. هكذا تتضح الحقيقة بعد فوات الأوان ، ونرى هذا الإنسان الذي ظن
أنه يستطيع التغلب على غرمائه المظلومين الذين لم ينالوا حظهم في المجتمع
وقد فقد كل شيء .

وليس من شك في أن هذه المسرحية الأمثلة Parabel ترتبط بتراث عرفه
الأدب الإنجليزي باسم إيفريمن Everyman ، وعرفه الأدب الألماني باسم
يدرمن Jedermann يدلنا على ذلك ما أدخله فريش في مسرحيته من
« مسرحية من داخل مسرحية » أو « نص من داخل نص » والاسم بيدرمن
كلمة منسوجة على منوال يدرمن . وهذا اليدرمن ، أو هذا الـ « كل إنسان »
نمط الإنسان المتكرر الذي يخطيء الخطأ البشري ولا يتعلم .

مزج فريش إذن مسرحيته بعناصر من تمثيلية يدرمن القديمة التي انتشرت
في كتابات الألمان نقلاً عن الإنجليز والهولنديين في أواخر القرن الخامس عشر
وموضوعها في أصله موضوع يرجع - كما بينت البحوث المقارنة - إلى أصل
عربي إسلامي . إليك هذا الإنسان الذي يتمتع بلذات الحياة دون أن يلزم قواعد
الأخلاق والإيمان ودون أن يرعى حقوق الناس ودون أن يفكر في الدار الآخرة ،
وبينا هو على هذه الحال ، يظهر له ملك الموت فيفزع ويتمنى أن يتاح

له بعض الوقت ليتصدق وليكون من الصالحين ، ولكن هيهات : لم يبق إلا الحساب يوم يوضع الميزان .

تعددت صياغات هذه التمثيلية الوعظية أو الأمثولة وتنوعت فى العصور الوسطى ، وبداية العصور الحديثة ، ولدنا صياغة لها بقلم هانس زاكس Hans Sachs (١٤٩٤ - ١٥٧٦) بعنوان « كوميليا الرجل الغنى الذى يدعى هيكاستوس عندما حضره الموت » Comedi von dem reichen sterbenden Menschen, der Hecastus genannt التى جردها هوجو فون هوفمنستال Hugo von Hofmannsthal فى عام ١٩١١ بعنوان « يدرمن تمثيلية وفاة الرجل الغنى » Jerdermann. Das « Spiel vom Sterben des reichen Mannes » .

أفاد ماكس فريش من المادة الموروثة ، ولكنه وسع النطاق ليشمل مشكلات المجتمع الحديث الذى أتيح له من التقدم الفكرى والتقنى والعلمى والصناعى والتجارى الشىء الكثير ، ولكنه لم يزل يضم بين ظهرانيه الإنسان الذى يستغل أخاه الإنسان ليحقق الأرقام الأعلى فى التوزيع والنجاح والثروة والقوة ، ولكن غفلته عن الأبعاد الاجتماعية والإنسانية وعن القيم تهدد كل شىء بالفناء بل إن يدرمن عندما يواجه الامتحان ويدرك سوء عمله يسترسل فى الزيف والتزييف إلى النهاية ، إلى الهاوية .

دكتور مصطفى ماهر

القاهرة فى صيف ١٩٩٥

الأشخاص :

Herr Biedermann	السيد بيدرمن
Babette, seine Frau	بابيئة : زوجته
Anna, ein Dienstmädchen	أنه : خادمة
Schmitz, ein Ringer	شميتس : مصارع
Eisenring, ein Kellner	أيزنرينج : جرسون
Ein polizist	شرطى
Ein Dr phil .	دكتور فى الفلسفة
Witwe Knechtling	الأرملة كنيشتلينج
Der Chor, bestehend aus den Mannen der Feuerwehr	كورس يتكون من رجال المطافىء المنظر : حجرة وسندرة .

(المسرح مظلم ، فجأة يشتعل عود ثقاب : السيد بيدرمين يشعل سيجاراً ،
ويظهر وجهه فى ضوء عود الثقاب . وبينما تزداد الإضاءة يتلفت السيد
بيدريمين حوالبه . رجال المطافئ يحيطون به ، وعلى رؤوسهم
خوذاتهم)

بيدريمين : لم يعد الإنسان اليوم يستطيع أن يشعل أى شىء .. حتى
السيجار دون أن يفكر فى الحريق ! ... هذا شىء فظيع .
(يخفى بيدريمين السيجار الذى يتصاعد منه الدخان ، وينتحي جانباً ،
عندئذ يتقدم رجال المطافئ على هيئة الكورس اليونانى القديم)
(ساعة برج تدق : ربع ساعة)

الكورس : يا أهل البلد ، تطلعوا ..
إلى حَمَاة البلد ، إلينا
فإننا نترصد ،
وإننا نتصنّت ،
وإننا نتلطّف مع المواطن اللطيف .
رئيس الكورس : فهو الذى يدفع لنا أجرنا .
الكورس : بَعْدَ ممتازة
نطوّف حول بيوتكم ،
متيقظين وطيبين .
رئيس الكورس : وقد نجلس أحياناً ،
دون أن ننام ،
فنحن لا نعرف التعب .

الكورس : بل نترصد ،

ونتسمع

فيظهر المكنون

قبل فوات الأوان ونرى ، ونكشف كل ما فيه خطر الحريق .

(ساعة برج تدق : نصف الساعة)

رئيس الكورس : وخطر الحريق كامن في أشياء كثيرة ..

وليست كل نار تشتعل قدراً مكتوباً

لا رادّ له ولا مانع .

الكورس : أما ذلك الذى يسمونه لك بالقضاء والقدر ،

حتى لا تسأل كيف يتأتى وينقضى ؛

ذلك الشيء الفظيع الذى قد يأتى على مدن بأسرها ..

فحماقة

رئيس الكورس : إنسانية .

الكورس : إنسانية جداً .

رئيس الكورس : تبيد جنس المواطنين البورجوازيين الفانى .

(ساعة برج تدق : ثلاثة أرباع الساعة)

الكورس : والعقل قادر على تجنب الكثير .

رئيس الكورس: حقاً

الكورس: فلا يجوز هذا من الرب أبداً ،

ولا يجوز هذا للإنسان أبداً ..

فهو إذا قدر الأمور الإنسانية على هذا النحو

لا يستحق هذا الاسم أبداً .

ولا الأرض الربانية ،

السرمدية ،

ذات الخير والمنّة على الإنسان .

ولا الهواء الذى يتنسمه ،

ولا الشمس

تستحق

أن تسمى قضاء وقدرأ ، لأنها حدثت :

الحماقة .

التي لم يكن هناك فيما مضى سبيل إلى إطفائها .

(ساعة برج تدق : أربعة أرباع الساعة)

رئيس الكورس: لقد حان وقت انتباهنا .

(يجلس الكورس بينما تدوى دقات الساعة معلنة : الساعة التاسعة .

المشهد الأول

حجرة

(جوتليب بيدرمين يجلس فى حجرته ويقرأ الجريدة مدخناً سيجارا، وتدخُل

الخادمة أنه بمربلتها البيضاء الصغيرة، حاملة زجاجة نبيذ)

أته : يا سيد بيدرمين ؟

(لا يجيب)

يا سيد بيدرمين -

(يطوى الجريدة)

بيدريمن : لا بد من تعليقهم على المشانق . ألم أقل هذا مراراً وتكراراً ؟

ها هوذا حريق جديد . وهاهى ذى القصة نفسها تتكرر

بحدافيرها ، القصة نفسها ، بالضبط : بائع متجول يدق الباب ..

ويدخل .. ويعشش فى السندرة .. بائع متجول .. عادى .. لا يثير

مظهره شكاً أو شبهة .

(يتناول الزجاجة)

لا بد من تعليقهم على المشانق !

(يأخذ الفتاحة)

أته : يا سيد بيدرمين

- بيدرمن : ماذا تريدان ؟
أَنَّهُ : إنه لا يزال واقفاً ينتظر .
بيدرمن : من هذا ؟
أَنَّهُ : البائع المتجول الذى يريد محادثتك
بيدرمن : أنا لست بالبيت !
أَنَّهُ : لقد قلتُ له هذا ، يا سيد بيدرمين ، منذ ساعة ، ولكنه يقول إنه
يعرفك . وأنا لا أستطيع أن ألقى به إلى الخارج ، يا سيد بيدرمين
أنا لا أستطيع ذلك على الإطلاق .
بيدرمن : لماذا ؟
أَنَّهُ : لأنه قوى جداً ...

(بيدرمين يفتح الزجاجاة)

- بيدرمن : فليأت إذن إلى غداً فى المكتب .
أَنَّهُ : قلت له ذلك يا سيد بيدرمين ، قلته له ثلاث مرات ، ولكنه لم
يبدِ اهتماماً به .
بيدرمن : ولم لا ؟
أَنَّهُ : لأنه لا يريد دهاناً للشعر .
بيدرمن : فماذا يريد إذن ؟
أَنَّهُ : يريد الإنسانية ...

(بيدرمين يشم السداة)

- بيدرمن : قولى له إننى سألقى به بيدى إلى الخارج إذا لم ينصرف
الفور .

(يملأ باحتراس كأس النبيذ البورجونى)

الإنسانية !

(يتذوق النبيذ) .

عليه أن ينتظر فى الخارج ، وسأذهب إليه فى الحال . إذا كان يبيع شيئاً : كتيبات ، أو شفرات حلاقة ، فأنا لست مجرداً من الإنسانية ، ولكنى .. آه ، أنا لست مجرداً من الإنسانية يا أنه ، أنت تعرفين ذلك تمام المعرفة ! ولكنى لا أريد أن يدخل أحد على بيتى . لقد قلت لك هذا من قبل مائة مرة . حقيقة إننا لدينا ثلاثة أسرة خالية ، ولكن لا أريد أن يدخل أحد على بيتى ، هذا محال ، محال . فأنا أعرف إلى أين يؤدى بى مثل هذا التصرف فى أيامنا هذه .

(أنه تهم بالانصراف فترى أن الرجل الغريب قد دخل ؛ رجل قوى البنية مفتول العضلات ، يرتدى حلة تذكرنا تارة بالسجن وبالسيرك تارة أخرى وعلى ذراعه وشم ، وحول معصمه رباط من الجلد ، أنه تتسلل إلى الخارج . أما الرجل الغريب فينتظر حتى يفرغ السيد بيدرم من تذوق نبيذه ، ثم يلتفت إليه) .

شميتس : مساء الخير .

(يسقط السيجار من قم بيدرم من فرط دهشته)

سيجارك ياسيد بيدرم ..

(يلتقط السيجار ويقدمه إلى بيدرم)

- بيدرمن : قل لي ..
- شميتس : مساء الخير
- بيدرمن : ما هذا ؟ لقد قلت للبنت بمنتهى الوضوح إن عليك أن تنتظر
في المدخل فلماذا - هذا شيء لا بد من أن أقوله - لماذا.. دون
أن تقرع الباب
- شميتس : اسمي شميتس .
- بيدرمن : دون أن تقرع الباب .
- شميتس : شميتس .. يوزف شميتس .
- (صمت)
- مساء الخير .
- بيدرمن : وماذا تريد ؟
- شميتس : لا تخف يا سيد بيدرمن : أنا لست بائعاً متجولاً .
- بيدرمن : فماذا تكون ؟
- شميتس : أنا مصارع محترف .
- بيدرمن : مصارع ؟
- شميتس : من الوزن الثقيل .
- بيدرمن : واضح .
- شميتس : أعني أنني كنت مصارعاً فيما مضى .
- بيدرمن : والآن ؟
- شميتس : بلا عمل .

(فترة)

لا تخش شيئاً يا سيد بيدرمين . أنا لا أبحث عن عمل . على
العكس . فقد سئمت المصارعة ... وأنا إنما دخلت هنا لأن
المطر ينهمر فى الخارج .

(فترة)

الدنيا هنا أكثر دفئاً .

(فترة)

أرجو ألا يكون فى ذلك إزعاج لك .

(فترة)

بيدريمن : هل تدخن ؟

(يقدم إليه سيجاراً)

شميتس : شىء فظيع يا سيد بيدرمين إذا كان للإنسان جسم قوى
وعضلات مفتولة مثلى . شىء فظيع . كل الناس يخافوننى ...
شكراً !

(بيدريمن يشعل له السيجار)

شكراً .

(يلقان ويدخان)

بيدريمن : والآن ندخل فى الموضوع . قل لى باختصار .. ماذا تريد ؟

شميتس : اسمى شميتس .

بيدريمن : لقد قلت ذلك من قبل ... تشرفنا .

شميتس : أنا بلا مأوى .

(يقرب السيجار من أنفه ويتنسم رائحته الطيبة)

أنا بلا مأوى

بيدرمن : هل تريد قطعة من الخبز ؟

شميتس : إذا لم يكن لديك شيء آخر سواها ..

بيدرمن : أو تريد كأساً من الخمر ؟

شميتس : خبزاً وخمراً ... على ألا يكون في ذلك إزعاج لك وإتقال

عليك يا سيد بيدرمن ... على ألا يكون في ذلك إزعاج لك وإتقال عليك !

(بيدرمن يتجه ناحية الباب)

بيدرمن : أنه .

(بيدرمن يعود)

شميتس : لقد قالت لي البنت إن السيد بيدرمن يريد أن يلقي بك بنفسه

إلى الخارج ، ولكنني يا سيد بيدرمن قلت في نفسي إنك لا
يمكن أن تكون جاداً في هذا .

(أنه دخلت)

بيدرمن : أحضري كأساً أخرى .

أنه : حالاً .

بيدرمن : وشيئاً من الخبز .. هه .

شميتس : وإذا لم يكن في ذلك إتقال على الأنسة : شيئاً من الزبد ، وشيئاً

من الجبن أو اللحم البارد .. أو ما إلى ذلك . على ألا يكون في

ذلك إزعاج أو مشقة ... وبعض الخيار والطماطم أو ما إلى ذلك ، وشيئاً من المسطردة مثلاً .. الموجود يا آنسة .

أنه : حالاً !

شميتس : على ألا يكون في ذلك إزعاج أو مشقة .

(أنه تخرج)

بيدرمن : لقد قلتَ للبننت إنك تعرفنى .

شميتس : طبعاً يا سيد بيدرمن ، طبعاً .

بيدرمن : ومن أين تعرفنى ؟

شميتس : أعرفك من أحسن جانب من جوانبك ، يا سيد بيدرمن ، من

أحسن جانب . وأنا أعلم أنك بالأمس ، عندما كنتَ جالسا إلى

مائدتك المعهودة في الحانة ، لم ترنى في الركن الذى كنتُ

قابعاً فيه . كم كان جمهور الحانة كله يبتهج ، يا سيد بيدرمن

ويتهلل بشراً في كل مرة كنتَ تدق فيها بقبضتك المائدة !

بيدرمن : وماذا كنت أقول ؟

شميتس : الحق الذى لا حق غيره .

(يدخن سيجارة ، ثم يقول)

كنت تقول : لا بد أن يعلقوهم على المشانق ! وكلما أسرعوا في

شنقهم ، كان أفضل .

مشعلى الحرائق ..

(بيدرمن يقدم إليه كرسياً وثيراً)

بيدرمن : تفضل

(شميتس يجلس)

شميتس : إننا بحاجة إلى رجال مثلك ، يا سيد بيدرمن

بيدرمن : نعم ، نعم ، بكل تأكيد ، ولكن ..

شميتس : ليس هنا محل لكلمة « ولكن » يا سيد بيدرمن ، كلمة

« ولكن » كلمة لا محل لها هنا . أنت رجل من المعدن القديم

العريق ، وأنت ثابت على الموقف الإيجابي لا تنصرف عنه . هذا

هو السبب .

بيدرمن : بكل تأكيد .

شميتس : لا تزال لديك الشجاعة الأدبية .

بيدرمن : بكل تأكيد

شميتس : وهذا هو السبب .

بيدرمن : السبب في ماذا ؟

شميتس : لا يزال عندك ضمير ، هذا هو الشيء الذى أحس به جمهور

الحانة كله ، عندك ضمير بمعنى الكلمة .

بيدرمن : نعم ، نعم ، هذا شيء طبيعى .

شميتس : لا يا سيد بيدرمن ، ليس هذا بالشيء الطبيعى ، فى أيامنا هذه .

فى السيرك الذى كنت أصرع فيه على سبيل المثال ولهذا

أحرق السيرك والتهمته النيران عن آخره .. مفهوم . وإليك مثل

آخر : مديرنا ، لقد قال لى : هل يمكنك يا يويو - يويو اسم

التدليس ، واسمى الحقيقي يوزف - قال لى : هل يمكنك يا يويو أن تقول لى - وإليك كلامه بالحرف الواحد : هل يمكنك يا يويو أن تقول لى لماذا أحتاج إلى ضمير ؟ كلامه بالحرف الواحد - قال لى : إن كل ما أحتاج إليه لتسيير أمورى مع حباتى هو الكرياج . كلامه بالحرف الواحد . هكذا كان هذا الرجل ! ضمير ! ضمير ! ثم ضحك وقال : لو أنك وجدت إنساناً عنده ضمير فهو على الأرجح ضمير أثقلته الآنام .

(يدخن متمتعاً بالتدخين)

الله يرحمه .

بيدرمن : هل تريد أن تقول إنه مات ؟

شميتس : التهمته النيران هو وكراكييه كلها .

(ساعة كبيرة قائمة تدق التاسعة)

بيدرمن : لا أفهم ماذا تعمل البنت طوال هذا الوقت .

شميتس : أنا لست على عجل .

(فجأة تتلاقى نظراتهما)

- وأنت ليس لديك بالبيت سرير خالٍ ، يا سيد بيدرمن ، هذا ما

قالت لى البنت .

بيدرمن : لماذا تضحك ؟

شميتس : معذرة .. ليس لدينا سرير خالٍ . هذا ما يقوله الجميع . ما يكاد

إنسان بلا مأوى يعرض لهم حتى يُسمعونه هذه العبارة - مع

أننى لا أريد سريراً على الإطلاق .

بيدرمن : لا تريد سريراً؟

شميتس : لقد تعودت يا سيد بيدرمن أن أنام على الأرض . فقد كان أبي
حطّاباً . لقد تعودت على ذلك .

(بدخن وهو عاكف على نفسه)

لا محل لكلمة «ولكن» يا سيد بيدرمن . كلمة «ولكن» لا
محل لها . أنا رأيت أنك لست واحداً من هؤلاء الذين يرفعون
عقائرتهم في الحانة لأن خوفاً تملكهم . أنا أصدق كلامك .
أنت تقول : معذرة .. ليس لدينا سرير خالٍ ... تلك عبارة يقولها
الجميع . أما أنت ، يا سيد بيدرمن ، فتقولها صادقاً ، وأنا
أصدقك ، أنا أصدق كل كلمة تقولها ... إلى أين تنتهي بنا
الحال إذا لم يعد الواحد منا يصدق الآخر ؟ أنا دائماً أقول : إلى
أين تنتهي بنا هذه الحال يا أولاد ! كل واحد منا يشك في
الآخر ويظنه من مشعل الحرائق . لقد انعدمت الثقة في الدنيا .
ألست على حق في هذا ؟ لقد أحس جمهور الحانة جميعاً
بأنك لا تزال تؤمن بما في الشر من خير وبما فيك أنت من
طيبة . كلهم أحسوا بذلك يا سيد بيدرمن . ألست على حق في
هذا ؟ أنت أول إنسان في هذه البلدة لا يعاملني كما لو كنت
من مشعل الحرائق .

بيدرمن : هذه هي الطفاية .

شميتس : ألست على حق في هذا ؟

(ينفذ رماد السيجار بعناية)

غالبية الناس اليوم لا تثق في الرب . تضع ثقتهم في رجال
المطافئ .

بيدرمن : ماذا تعنى بذلك ؟

شميتس : الحقيقة

(أنه تدخل حاملة صينية صغيرة)

أنه : ليس لدينا لحم بارد .

شميتس : يكفى هذا يا آنسة ، يكفى - آه ، لقد نسيت شيئاً ، نسيت
المسطرة .

أنه : متأسفة !

(أنه تخرج)

بيدرمن : كل .

(بيدرمن يملأ الكأسين)

شميتس : هذه معاملة لايجدها الواحد منا فى كل مكان يا سيد بيدرمن !
أنا أقول لك هذا عن خبرة . وبأ لها من خبرة . لقد رأيت
الكثير ! ما يكاد الواحد منا يدخل بيتاً ، ما يكاد يتجاوز عتبة
بيت .. بدون كرافته ، بدون مأوى ، جوعان ... حتى يجد من
يستقبله قائلاً : تفضل ، اجلس .. ثم يتم الاتصال بالشرطة ،
فى الخفاء .. من وراء ظهرك . ما رأيك فى هذا المسلك ؟
لست أطلب شيئاً أكثر من مأوى ، مأوى فقط ، أنا المصارع
الشهير الذى أمضى حياته فى المصارعة . فجأة ، على غير انتظار
، يظهر أمامى رجل لم يمارس المصارعة على الإطلاق ،
فيمسك بتلابيبى . هنالك أسأله : لماذا ؟ ولا أزيد عن أن ألتفت
ورائى ، مجرد التفاتة ، لا لشيء إلا لأنظر إليه ، مجرد نظرة :
وإذا به ينهار تماماً وتخور قواه .

(يتناول كأساً)

فى صحتك .

(يشريان ، ثم يبدأ شميتس فى تناول الطعام)

بيدرمن : هذه حكاية كل يوم يا سيدى . حكاية والله . لا يكاد الإنسان يفتح جريدة حتى يطالعه خبر عن حريق جديد . جرى بالطريقة المعهودة ، بالضبط : بائع متجول يظهر بالباب ، ويطلب مأوى ، وفى الصباح التالى يحترق البيت وتتصاعد منه ألسنة اللهب إلى عنان السماء كل ما أقصده ، بصراحة ، هو أننى أفهم مسلك أولئك الذين يتسرب إلى نفوسهم شىء من الشك والريبة .

(يتناول الجريدة)

هنا .. تفضل .

(يضع الجريدة منشورة أمام شميتس بجوار الصحن)

شميتس : رأيتها .

بيدرمن : حى بأكملة التهمته النيران .

(يهب واقفاً ليعرض على شميتس ما جاء بالجريدة)

هنا: اقرأ .

(شميتس يأكل ويقرأ ويشرب)

شميتس : هذا ، هذا النبىذ « بوجوليه » ؟

بيدرمن : نعم .

شميتس : الأفضل أن أنتظر حتى يسخن قليلا .

(ينظر إلى الجريدة من فوق الصحن ويقرأ)

– « ويبدو أن الحريق تم تدييره وتنفيذه بالأسلوب نفسه الذى اتبع فى المرة السابقة » .

(ينظر كل منهما إلى الآخر)

بيدرمن : أليس هذا شيئاً عجيباً ؟

(شميتس ينقى الصحيفة جانبا)

شميتس : وأنا لهذا لا أقرأ الصحف .

بيدرمن : ماذا تعنى بـ « لهذا » ؟

شميتس : لأنها تكتب دائماً نفس الشيء .

بيدرمن : آه ، نعم يا سيدى ، صحيح ، طبعاً ، طبعاً . ولكن - ولكن

امتناعك عن قراءة الصحيفة يا سيدى ليس حلاً ، فلا بدّ للإنسان

على أية حال أن يعرف ما سيجرى عليه .

شميتس : ولماذا ؟

بيدرمن : لمجرد المعرفة .

شميتس : ولكنها آتية لا ريب فيها ، يا سيد بيدرمن ، آتية لا ريب فيها .

(يشم السجق)

الحكمةُ الإلهية .

(يقطع شيئاً من السجق)

بيدرمن : أتظن ذلك ؟

(أنه تأتى بالمسطرده)

شميتس : شكراً يا آنسة ، شكراً .

أنته : هل تريد شيئاً آخر ؟

شميتس : ليس اليوم .

(تظل أنه بالياب)

المسطرده هي أشهى الأطعمة في تقديري -

(يضغط على الأنبوبة ليستخرج منها لنفسه بعض المسطرده)

بيدرمن : لماذا تأتي الحكمة الإلهية ؟

شميتس : ومن أين لي أن أعرف .

(يأكل بنهم ويلقى نظرة أخرى إلى الجريدة ويقرا)

- « ويرى الخبراء أن الحريق جرى تديره وتنميده بأسلوب المرة

الماضية نفسه » .

(يضحك ضحكة قصيرة ثم يملأ كأسه بالتبيز)

أنه : يا سيد بيدرمن ؟

بيدرمن : ماذا تريدين ؟

أنه : السيد كنيشتلينج يودّ محادثتك .

بيدرمن : كنيشتلينج ؟ الآن كنيشتلينج ؟

أنه : إنه يقول ..

بيدرمن : لا يمكن .

أنه : إنه يقول إنه لا يستطيع أن يفهمك .

بيدرمن : ولماذا يفهمني ؟

أنه : إنه يعول امرأة مريضة وثلاثة أولاد .

بيدرمن : لا يمكن - أنا قلت لا يمكن .

(يهب واقفا من فرط الانفعال)

السيد كنيشتلينج ! السيد كنيشتلينج ! الله ! خير للسيد كنيشتلينج أن يتعد عنى وألا يعكر صفو حياتي ! يا حفيظ ! يا مغيث ! أعوذ بالله ! وله إن شاء أن يوكل عنه محامياً ، السيد كنيشتلينج ! أنا لا أقبل كل هذه التمثيلية التي يمثلها بسبب فصله . شيء مضحك ! والغريب أن هذا يحدث اليوم وقد وصلت التأميمات إلى حد لم تصل إليه من قبل في تاريخ

الإنسانية ... نعم . عليه أن يوكل عنه محامياً . هه . وأنا كذلك سأوكل عنى محامياً . من أجل نصيبه فى اختراعه . نصيبه فى اختراعه عليه أن يختار بين أمرين ، إما أن يضع الموضوع تحت فرن الغاز أو يوكل عنه محامياً .. هه .. هذا إذا كانت لدى السيد كنيشتلينج القدرة على أن يكسب القضية أو على أن يخسرها .. هه ! هه !

(يتمالك نفسه وقد تركز بصره على شميتس)

قولى للسيد كنيشتلينج : عندى ضيف .

(أنه تخرج)

لا مؤاخذة !

شميتس : أنت هنا فى بيتك يا سيد بيدرمن .

بيدرمن : هل طعمه على مزاجك ؟

(يجلس وينظر إلى الضيف كيف يتلذذ بالطعام)

شميتس : من كان يظن أنها لا تزال موجودة ، من كان يتصور أنها لا

تزال موجودة ، فى أيامنا هذه .

بيدرمن : المسطرده ؟

شميتس : الإنسانية .

(يقلل أنبوية المسطرده)

أعنى أنك لم تمسك بتلابيبى ، يا سيد بيدرمن ، ولم تلقى بى

إلى قارعة الطريق - إلى العراء ؛ حيث يهطل المطر - هذا هو يا

سيد بيدرمن ما نحتاج إليه : الإنسانية .

(يتناول الزجاجه ويصب فى كأسه شيئا من الخمر)

رينا يجازيك !

(يشرب ويتمتع بالخمير على نحو واضح)

بيدرمن : لا ينبغي أن تظن الآن يا سيد شميتس أنني مجرد من الإنسانية .

شميتس : العفو يا سيد بيدرمن .

بيدرمن : هذا هو ما تدعيه زوجة كنيشتلينج .

شميتس : لو أنك كنت مجرداً من الإنسانية يا سيد بيدرمن ، لما أويتنى في هذه الليلة ، هذا شيء واضح .

بيدرمن : أليس كذلك ؟

شميتس : حتى وإن لم يكن المأوى سوى سندرة .

(يضع الكأس على المائدة)

الآن أصبحت خميرنا دافئة ، على خير ما ينبغي أن يكون عليه الدفء .

(يدق أحدهم جرس الباب)

الشرطة ؟

بيدرمن : بل زوجتى .

شميتس : هه .

(الجرس يدق مرة أخرى)

بيدرمن : تعال .. ولكن على شرط ألا نتحدث ضججة ، فزوجتى يا سيدى مريضة بالقلب :

(تنتهى إلى السمع أصوات نسانية . بيدرمن يلوح إلى شميتس أن

يسرع ويساعده فى حمل الصينية والكأس والزجاجة ، يسير الاثنان على

أطراف أصابعهما ناحية اليمين حيث يجلس الكورس)

بعد إذنكم .

(يطلع فوق الأريكة وينزل من الناحية الأخرى)

شميتس : بعد إذنكم .

(يطلع فوق الأريكة وينزل من الناحية الأخرى : يختفيان عن الأنظار

بينما تدخل زوجة بيدرمين الحجرة من ناحية اليسار ترافقها أنه التي

تحمل عنها ما أحضرته من أشياء)

بابيئة : أين زوجي ؟ أنت تعرفين جيداً يا أنه أننا لسنا من محدثي

النعمة : من حَقَّك أن يكون لك صديق ، ولكنني أرفض أن

نخبئه في البيت يا أنه !

أته : ليس لي صديق يا سيدتي .

بابيئة : فلمن الدراجة الصدئة المركونة بجوار باب البيت ؟ لقد أوشكتُ

على الموت فزعاً عندما رأيته .

السندرة

(بيدرمين يضغط على مفتاح النور فتضيء السندرة ، ويلوح إلى شميتس

أن يدخل . ويدور الحديث بينهما همساً)

بيدرومن : هنا المفتاح ... إذا أحسست بالبرد فهنا في مكان ما فروة خروف

قديمة على ما أظن - ولكن عليك بالهدوء التام أستحلفك بالله

عليك بالسكون التام .. اخلع حذاءك .

(شميتس يضع الصيثة ويخلع أحد حذائيه)

شميتس : يا سيد شميتس

بيدرومن : نعم يا سيد بيدرومن ؟

ولكن عليك أن تؤكد لي أنك فعلاً لست من مشعلى الحرائق ؟
(شميتس لا يجد مغزاً من الضحك)
هس !

(يهز رأسه بحركة تعنى ، تصبح على خير ، ويقفل الباب . شميتس
يخلع الحذاء الآخر .)

الحجرة

(بابيته وقد سمعت شيئاً - ترفف السمع - تنظر مغزوعة - ثم بيدو
عليها الارتياح فجأة - وتتجه إلى المشاهدين)

بابيته : لقد وعدنى زوجى ، جوتليب ، وهو اسم على مسمى ، جوت
ليب : حبيب الله - أن يذهب بنفسه فى كل مساء إلى
السندرة ، وأن يفتش فيها بنفسه ، ويتأكد شخصياً من عدم
وجود أحد من مشعلى الحرائق بها . كم أنا ممنونة ، شاكرة له !
فما كنت أستطيع أن أنام نصف الليل لو لم يفعل ذلك .

السندرة

(شميتس يذهب إلى المفتاح الكهربائى ويطفئ النور ، شميتس يليس
جورياً بغير حذاء)

الكورس : يا أهل المدينة الوطن
تطلعوا إلينا ونحن ساهرون ، نحن حراس البراءة ،
فى غير لؤم لا نزال
نحيط بالود المدينة النائمة ،
ونحن جالسون
ونحن واقفون .
رئيس الكورس : قد نحشو بالتبع غليوناً لدفع الملل .

الكورس : مترصدون ،
متصنتون ،
حتى لا تفور من بين السقوف الأليفة
ألسنة من النيران عالية ،
تأتى على الوطن
على المدينة الوطن .

(ساعة برج تدق : الساعة الثالثة)
رئيس الكورس : كل إنسان على علم بأننا هنا ،
وبأن إشارة من الهاتف تكفى عندنا .
(يحشو غليونه)

الكورس : من الذى يضىء النور فى الحجرة
فى هذه الساعة ؟
آه ، بأعصاب محطمة ،
منكودة مسهدة مكدودة
أرى الزوجة

(بابيئه تظهر مرتدية معطف البيت)
بابيئه : هناك من يسعل .
(يتتاهى إلى السمع صوت شخير)

المشهد الثاني

حجرة

(بيدرمين يقف مرتدياً المعطف وعلى رأسه القبعة وتحت إبطه الحقيبة

الجلدية، يرتشف قهوة الصباح ، ويتكلم مع شخص خارج الحجرة)

بيدرمن : أقول لك للمرة الأخيرة : إنه ليس من مشعلى الحرائق .

صوت : وكيف عرفت ذلك ؟

بيدرمن : سألته ، سألته هو شخصياً ... ثم : ألم يعد هناك فى الدنيا شيء

آخر يفكر فيه الإنسان سوى هذا الموضوع ؟ إن الإنسان ليصاب

هكذا بالجنون ! آه ! يا لكم ، ولحديثكم الدائم عن مشعلى

الحرائق .

(بابيته تدخل حاملةً آتية اللبن)

إن الإنسان ليصاب هكذا بالجنون .

بابيته : لاتصرخ فىّ على هذا النحو .

بيدرمن : أنا لا أصرخ فيك يا بابيته ، أنا أصرخ وحدى ، بمفردى

(تصب شيئاً من اللبن فى فنجانه)

لابد من أن أنصرف الآن .

(يشرب قهوته وهى ساخنة أكثر من المألوف)

إلى أين نصل إذا ظننا كل إنسان من مشعلى الحرائق ؟ لابد

للإنسان من شيء من الثقة ، شيء من الثقة يا بابيته .

(ينظر الى ساعة يده)

بابيٲته : أنت طيب أكثر من اللازم . وإن هذه طيبة لا أشاركك فيها
ياجوتليب .

لقد استحال على النوم طوال الليل ، أما أنت فلا تحكّم إلا
قلبك . سأقدم إليه طعام الإفطار ، ثم سأطلب منه بعد ذلك يا
جوتليب أن ينصرف إلى حال سبيله .

بيدرمن : افعلى هذا .

بابيٲته : بكل لطف ، هه ، وبدون أن أخرج شعوره .

بيدرمن : افعلى هذا .

(يضع الفنجان على المائدة)

لا بد أن أذهب إلى المحامى .

(يقبل بابيٲته قبلة عادية . فى هذه اللحظة يظهر شميٲس وعليه فراء)

الخروف . يتكلمان دون أن يبصرا به)

بابيٲته : لماذا فصلت كنيشتلينج ؟

بيدرمن : لأننى لم أعد بحاجة إليه .

بابيٲته : ولكنك كنت دائماً راضياً عنه كل الرضى .

بيدرمن : وهذا هو بالضبط الشىء الذى أراد أن يستغله . لقد طالبنى

بنصيبه فى الاختراع . طالبنى به وهو يعلم حق العلم أن ما

نتتجه من دهان للشعر بضاعة تجارية ، وليس اختراعاً . شىء

مضحك . إن السذج الذين يدلكون صلعتهم بدهان الشعر الذى

نتتجه ، يمكنهم أن يصلوا إلى النتيجة نفسها إذا هم استعملوا

بدلاً منه البول الذى يتبولونه .

بابيئته : أرجوك يا جوتليب !

بيدرمن : هذه هي الحقيقة .

(يراجع محتويات الحقبة ليتأكد من أنه لم ينسَ شيئاً)

أنا طيب أكثر من اللازم ، أنت على حق في ذلك . ولسوف
ألوى رقبة كنيشتلينج وأنتهى من أمره .

(بهمّ بالانصراف فيرى شميتس)

شميتس : صباح الخير .

بيدرمن : يا سيد شميتس .

(شميتس يمد يده إليه ليصافحه)

شميتس : لا داعي للكلفة ، قل لي بكل بساطة يا يويو .

(بيدرمن لا يمد إليه يده ليصافحه)

بيدرمن : ستتحادث زوجتي معك يا سيد شميتس . أما أنا فلا بد أن

أنصرف الآن . للأسف . مع السلامة .

(يصافح شميتس)

مع السلامة ، يا يويو ، مع السلامة .

(بيدرمن يخرج)

شميتس : مع السلامة يا جوتليب ، هكذا أناديك .. بدون كلفة ،

مع السلامة .

(بابيئته تحملق فيه)

جوتليب . أليس اسم زوجك جوتليب ؟

بابيئته : كيف نمت ؟

شميتس : شكراً . كانت الدنيا باردة . ولكنني سمحت لنفسي يا سيدتي

باستخدام فراء الخروف - إنه يذكّرني بأيام الصبا في أكواخ

الحطابين .. نعم . أنا معتاد على البرودة ..

بابيئة : إبطارك جاهز .

شميتس : شكرأ يا سيدتى .

(تشير إلى كرسى وثير ليجلس فيه)

هذا ما لا يمكنى قبوله .

(تملأ فجاناه بالقهوة)

بابيئة : عليك أن تاكل جيداً يا يويو ، فلا شك أن أمامك طريقاً طويلاً .

شميتس : لماذا ؟

(تشير مرة ثانية إلى الكرسى الوثير طالبة منه الجلوس)

بابيئة : هل تتناول بيضة طرية ؟

شميتس : بل بيضتين .

بابيئة : أنه .

شميتس : ها أنت ذى ترين يا سيدتى أننى أحس هنا كأننى فى بيتى . هكذا أنا على سجيتى .

(يجلس)

(أنه دخلت)

بابيئة : بيضتين طريتين .

أنه : تحت أمرك .

شميتس : لاتركيهما فى الماء المغلى أكثر من ثلاث دقائق ونصف .

أنه : تحت أمرك .

(أنه تهتم بالانصراف)

شميتس : يا آنسة

(تقف أنه بالباب)

صباح الخير .

أته : خير ...

(أنه تفرج)

شميتس : عجيبة نظرة البنت إليّ ! أعوذ بالله ! يا ساتر ! أظن ! لو كان
أمرى بيدها لتركتنى أقف على قارعة الطريق والمطر ينهمر فوق
رأسى .

(بابيته تصب القهوة فى الفجان)

بابيته : يا سيد شميتس .

شميتس : نعم ؟

بابيته : اسمح لى بأن أتكلم بصراحة .

شميتس : إنك ترتعدين يا سيدتى ؟

بابيته : يا سيد شميتس .

شميتس : ما الذى يقلقك ؟

بابيته : هل تفضل الجبن ؟

شميتس : شكراً .

بابيته : أو تفضل المربى ؟

شميتس : شكراً .

بابيته : أو تحب العسل ؟ .

شميتس : بالدور يا سيدتى ، بالدور ، الواحد وراء الثانى ، الواحد وراء
الثانى .

(يميل إلى الورا لیسند ظهره إلى ظهر الكرسي الوثير ويأكل شريحة من

الخبز وضع عليها الزيد ، ويعبر عن استعداده للاستماع إلى كلامها)

نعم ؟ ماذا تريدین ؟

- بابيئة : بصراحة يا سيد شميتس ...
- شميتس : قولي بكل بساطة يا يويو ..
- بابيئة : بصراحة ..
- شميتس : إنك تريدني التخلص مني ؟
- بابيئة : لا ، يا سيد شميتس ، لا . لا أريد التعبير على هذا النحو
- شميتس : فعلى أى نحو تريدني التعبير ؟
- (يتناول قطعة من الجبن)
- جبن تيلزيت ، هذا أحب الأطعمة إلى .
- (يعود إلى إسناد ظهره إلى ظهر الكرسي ، ويأكل بشهية ويعبر عن استعداده للاستماع)
- بابيئة : فأنت إذن يا سيدتي تعتبرينني من مشعلى الحرائق . أرجو ألا تسيء فهمي . أم هل قلت شيئاً يحمل هذا المعنى ؟
- لا ، يا سيد شميتس ، إن المساس بك شيء بعيد عن فكري بعداً ما بعده بعد ، أوكد لك بشرفي ! ولكنك شئت ذهني غاية التشيت . أين هذا الذى يتحدث عن مشعلى الحرائق ؟ إننى يا سيد شميتس ، لا أشكو بحال من الأحوال من سلوكك .
- (شميتس يضع الشوكة والسكين على المائدة)
- شميتس : أنا أعرف أننى لا أحسن السلوك .
- بابيئة : لا يا سيد شميتس ، ليس هذا هو الموضوع .
- شميتس : إن إنساناً يلوك الطعام بصوت مسموع .
- بابيئة : كلام فارغ .
- شميتس : كانوا يقولون لى دائماً فى ملجأ الأيتام : يا شميتس لا تمضع بصوت مسموع .
- (تتناول إبريق القهوة لتصب مزيداً منها)

بابيئة : رباه ، إنك تسيء فهمي تماماً .

(يضع يده فوق فنجانه علامة على أنه لا يريد)

شميتس : سأصرف الآن .

بابيئة : ياسيد شميتس .

شميتس : سأصرف الآن .

بابيئة : ألا تريد فنجاناً آخر ؟

(يهز رأسه)

أو نصف فنجان ؟

(يهز رأسه)

لا يصح أن تنصرف هكذا يا سيدي ، فأنا لم أرد المساس
بإحساسك ، وأنا يا سيدي لم أقل كلمة واحدة تحمل معنى
أنك تمضغ بصوت مرتفع .

(يهبط واقفاً)

هل جرحت شعورك ؟

(يطبق فوطة السفر)

شميتس : وهل تقع المسؤولية عليك يا سيدتي إذا كنت إنساناً لا يحسن
السلوك ولا يعرف اللياقة ؟! لقد كان أبي خطاباً فمن أين
لأمثالي حسن السلوك ؟ إنني يا سيدتي أحتمل الجوع والبرد ،
ولا أتبرم منهما ، ولكن التجرد من التريبة ، يا سيدتي ، التجرد
من اللياقة ، يا سيدتي ، التجرد من أسباب الحضارة .. من
الثقافة ..

بابيئة : فهمت .

شميتس : سأصرف الآن .

بابيئة : إلى أين ؟

شميتس : سأخرج إلى المطر المنهمر ..

- بابيئته :** ربّاه !
- شميتس :** أنا معتاد عليه .
- بابيئته :** أرجوك ياسيد شميتس ... لا تنظر إليّ هكذا ... - لقد كان أبوك حطاباً ، يا سيد شميتس ، فهمت ، فأنت إذن قد أمضيت بكل تأكيد شباباً قاسياً .
- شميتس :** بل لم يكن لي يا سيدتي شباب على الإطلاق
(يخفض بصره ويعدّ على أصابعه مراراً)
- على الإطلاق ، كنت في السابعة من عمري عندما ماتت أمي .
(يلتفت إلى الخلف ويجفف دموعه)
- بابيئته :** ما لك يا يويو - لأ . لأ ... يا يويو
(تأتي أنه وتحضر البيضتين الطريتين)
- أته :** أية خدمة ؟
(لا يرد عليها أحد فتعود أدراجها)
- بابيئته :** لن أطردك بحال من الأحوال ، ياسيدي ، وأنا لم أقل كلمة واحدة تحمل هذا المعنى ، بتاتاً ، رباه ، ماذا قلت ؟ إنك تسيء فهمي . فعلاً ، يا سيد شميتس ، هذا شيء فظيع ، فماذا أفعل حتى أجعلك تصدقني ؟
(تمسكه - في شيء من التردد - من كفه)
- تعال يا يويو ، تعال ، كل .
(يعود شميتس إلى الجلوس إلى المائدة)
- إنك تسيء الظن بنا أية إساءة ! إنني لم ألاحظ أنك تمضع بصوت مرتفع . أقسم لك بشرفي . ثم هب أنتي لاحظت ذلك :
إننا لا نهتم بالظواهر يا سيد شميتس ، ولا بد أنك أحسست بهذا .
يا سيد شميتس ، لسنا من هذا النوع ..
(يلفظ البيضة)

شميتس : ربنا يجازيكم !

بايبته : هذا هو الملح .

(يأكل البيضة بالملقعة)

شميتس : صحيح يا سيدتى ، صحيح أنك لم تطرديني ، وأنتك لم تقولى
كلمة تحمل هذا المعنى ، صحيح . أرجو المعذرة ، أرجو أن
تسامحنى سيدتى على إساءتى فهمها .

بايبته : هل هى على مزاجك ، البيضة ؟

شميتس : طرية أكثر مما ينبغى ، أكثر قليلاً مما ينبغى ... أنا متأسف جداً

(فرغ من البيضة)

ماذا كنت تريدن أن تقولى يا سيدتى ، فى البداية ، عندما قلت
: بصراحة .

بايبته : آه ، ماذا كنت أريد أن أقول أصلاً .

(يفض البيضة الثانية)

شميتس : ربنا يجازيكم !

(يأكل البيضة الثانية بالملقعة)

وفيللى يقول دائماً إنها لم تعد موجودة ، يعنى : الرحمة فى
القطاع الخاص ، لم يعد للكرايم وجود فى هذه الأيام ...
التأميم شمل كل شىء . كل شىء قطاع عام ... لم يعد هناك
بشر .. لم يعد هناك أناس .. بشر .. هذا هو كلامه . ولهذا
السبب فإن الدنيا خربت - لهذا السبب .

(يرش ملحاً على البيض)

لو كان الآن هنا لما وسعته الدهشة ، لو نال إفطاراً كهذا لما
وسعته الدهشة ، سى فيللى .

(يدق أحدهم جرس باب البيت)

بابيته : ومن هو سى فيللى هذا ؟
 شميتس : رجل عنده ثقافة ، يا سيدتى ، سترين بنفسك ، لقد كان
 جرسوناً فى فندق متروبول قبل أن يحترق ، متروبول .
 بابيته : يحترق ؟
 شميتس : جرسون أول ، رئيس الجرسونات .
 (دخلت أنه)
 بابيته : من الذى دق الجرس ؟
 أنه : رجل .
 بابيته : وماذا يريد ؟
 أنه : يقول إنه من رجال التأمين ضد الحريق ، وإنه أتى ليرى البيت .
 (بابيته تقف)
 إنه يلبس بدلة فراك
 (بابيته وأنه تخرجان . شميتس يصب قهوة فى فنجانه)
 شميتس : إنه فيللى !

الكورس : لقد أصبحنا الآن اثنتين
 تثيران فينا الشك والريبة
 اثنتين ، دراجتين ، صدفئتين
 لهما بالطبع صاحبان، يا ترى من هما ؟
 رئيس الكورس : إحداهما منذ أمس ، والأخرى منذ اليوم .
 الكورس : آه ، ثم آه .
 رئيس الكورس : لقد حلّ الليل ، وها نحن هؤلاء ساهرون .
 (ساعة برج تدق)

رئيس الكورس : الخوآف يرى الكثير حيث لا شىء يرى
حتى ظلّه هو يثير فيه الفزع
وكل سائعة تلقاه متأهباً للنضال ، متحفزاً
ثم ما يلبث أن يترنح
ثم يعيش فى الرعب أيامه
حتى تدخل النازلة عليه :
فى قلب حجرتة .

(ساعة البرج تدق)

رئيس الكورس : إنهما لا يغادران البيت ، الاثنان لا يخرجان
فكيف أفسر ذلك يا ترى ؟

(ساعة البرج تدق)

الكورس : الخوآف أعمى من الأعمى
يرتعد إذ يحدوه الأمل
فى ألا يكون المحظور قد أتاه
فيتلقاه بالبشر والترحاب
أعزل من كل سلاح .. آه
ومن الخوف قد تعب .
والخير كلُّ الخير يرجو
حتى يفوت الأوان .

(تدق ساعة البرج)

الكورس : آه ، ثم آه !

(الكورس يجلس)

المشهد الثالث

السندرة

(شميتس ولا يزال مرتديا ثياب المصارع ، والرجل الآخر وقد خلع سترة
الفراك وبقي بالصديري الأبيض ، مشغولان بدرجة براميل إلى داخل
السندرة ، براميل مصنوعة من الصاج من تلك التي تستعمل في نقل
البنزين . الاثنان يتوخيان أكبر قدر من الهدوء ، وقد خلعا لذلك
أحذيتهما)

الآخر : بهدوء ! هش ! هش !
شميتس : وماذا لو خطر بباله أن يتصل بالشرطة ؟
الآخر : إلى الأمام ! إلى الأمام !
شميتس : ماذا يحدث ؟
الآخر : على مهلك ، على مهلك قف .
(دفعا البرميل إلى البراميل الأخرى التي تبدو مرصوصة في الضوء
الخافت . يتناول الآخر شيئا من ليف التنظيف وينظف أصابعه)
ولماذا يتصل بالشرطة ؟
شميتس : ولماذا لا يتصل بها ؟
الآخر : لأنه مذنب هو نفسه .
(يتناهى إلى السمع صوت رنين الحمام)
لقد طلع النهار للأسف ، هيا بنا ننام .
(يلقي بالليف)
كل مواطن مذنب ، أو إذا أردنا الدقة : كل مواطن ابتداءً من
دخل معين . فلا تحمل همّاً .
(يقرع أحدهم الباب الموصد بالمزلاج)

- بيدرمن : افتح ! افتح !
 (إنه يقرع الباب بعنف ويرجحه رجاً)
 الآخر : ليست هذه دعوة لتناول طعام الإفطار .
 بيدرمن : افتح ، افتح حالاً ، أنا أقول لك افتح ، حالاً .
 شميتس : لم يحدث أن تصرف على هذا النحو من قبل .
 (يشتد الضجيج أكثر فأكثر ، يرتدى الآخر سترة الفراك ، فى غير هرولة
 ولكن بسرعة ، ويضبط الكرافة فى موضعها ، ثم ينفذ القبار عن
 نفسه ويفتح الباب : يدخل بيدرمن مرتدياً معطف البيت ولا يلحظ الزميل
 الجديد لأنه يقف وراء الباب المفتوح)
 بيدرمن : يا سيد شميتس .
 شميتس : صباح الخير يا سيد بيدرمن ، صباح الخير ، أرجو ألا تكون
 الكركبة السخيفة قد أيقظتك من النوم .
 بيدرمن : يا سيد شميتس ..
 شميتس : أعدك بأنها لن تتكرر مرة أخرى أبداً .
 بيدرمن : اخرج من بيتى .
 (فترة)
 أنا قلت : اخرج من بيتى .
 شميتس : متى ؟
 بيدرمن : فوراً .
 شميتس : لماذا ؟
 بيدرمن : وإلا فإن زوجتى ستطلب الشرطة ، ولن أستطيع منعها من
 ذلك ، ولن أمنعها .
 شميتس : هكذا .
 بيدرمن : فوراً ، فوراً .
 (فترة)

لماذا تتلكأ ؟

(يتناول شميتس حذاءه فى صمت)

لا أريد مناقشات .

شميتس : أنا لا أقول شيئاً .

بيدرمن : ربما خطر ببالك يا سيد شميتس أننى سأسكت على كل ما

تفعل لا لشيء إلا لأنك مصارع - هذا الضجيج ، هذه

الكرعبة طوال الليل .

(يشير بيده إلى الباب)

اخرج ، اخرج . قلت لك . اخرج .

(شميتس يتحدث إلى الآخر)

شميتس : لم يحدث مطلقاً أن تصرف على هذا النحو .

(بيدرمن ينظر خلفه فتخرسه المفاجأة)

الآخر : اسمى أيزينرينج .

بيدرمن : أيها السادة ؟

أيزينرينج : فيلهلم أيزينرينج .

بيدرمن : لماذا يا سادة أصبحتم اثنين ، رجلين ، هكذا فجأة ؟

(شميتس وأيزينرينج ينظر أحدهما إلى الآخر)

وبدون سؤال ، بدون استئذان .

أيزينرينج : أرأيت !

بيدرمن : ماذا تعنى ؟

أيزينرينج : أليس هذا هو ما قلته لك ، أما قلت لك إن هذا لا يليق ، يا

يويو أنت لا تعرف اللياقة . هكذا دون سؤال ، دون استئذان . ما

هذا السلوك : لقد أصبحنا اثنين فجأة .

بيدرمن : أنا مذهول .

أيزينرينج : أرأيت !

(يتجه إلى بيدرمين)

لقد قلت له ذلك .

(يتجه إلى شميتس)

أما قلت لك ؟ !

(شميتس يخل)

بيدريمين : ماذا خطر ببالكما ، أنت وهو ؟ إننى أخيراً وبعد كل شيء وفى نهاية المطاف صاحب البيت . إننى أتساءل: ماذا خطر ببالكما ، أنت وهو ؟

(فترة)

أيزينرينج عليك أن تجيب عندما يسألك السيد .

(فترة)

شميتس : فيللى هذا صديقى .

بيدريمين : ثم ماذا ؟

شميتس : ثم إننا ذهبنا إلى المدرسة سوياً ، يا سيد بيدرمين ، عندما كنا صغاراً .

بيدريمين : ثم ماذا ؟

شميتس : ثم فكرت ...

بيدريمين : نعم ؟

شميتس : ثم فكرت ...

(فترة)

أيزينرينج : أنت لم تفكر فى شيء .

(يلتفت إلى بيدرمين)

أنا مقدر لموقفك تمام التقدير ، يا سيد بيدرمين ، كل شيء صحيح .. وأخيراً وبعد كل شيء وفي نهاية المطاف ..

(يصرخ في شميتس مويخاً)

هل تظن أن على صاحب البيت أن يرضى بكل شيء ، أن يسكت على كل شيء ؟

(يلتفت إلى بيدرمين)

وسى يويو لم يستأذنيك على الإطلاق ؟

بيدرمن : لم يقل كلمة واحدة .

أيزينرينج : هكذا يا يويو .

بيدرمن : ولا كلمة واحدة ؟ !

أيزينرينج : وبعد هذا تدهش عندما يرميك الناس في الشارع ؟

(يهز رأسه ويضحك ضحك المرء من إنسان غبي)

بيدرمن : ليس في هذا ما يضحك يا سادتي . إن الأمر بالنسبة إلى جأذ

شديد الجد . إن زوجتي يا سادة قلبها مريض ..

أيزينرينج : رأيت !

بيدرمن : لم تنم زوجتي نصف الليل . نتيجة للضحيج ، ولكن لندخل في

صلب الموضوع ..

ماذا تفعلان هنا ؟

(ينظر حوالبه)

يا للمصيبة ! ما هذه البراميل ؟

(شميتس وأيزينرينج ينظران حيث لا توجد براميل)

لا ، هنا ، هنا . من فضلكم ، ما هذه ؟

(يخبط على برميل)

ما هذه ؟

شميتس : براميل .

- بيدرمن : ومن أين أتت ؟
- شميتس : هل تعرف يا فيللي من أين أتت ؟
- أيزنرينج : مستوردة ، مكتوب عليها .
- بيدرمن : يا سيدى ، يا حضرة -
- أيزنرينج : مكتوب عليها أنها صنعت فى مكان ما .
- (أيزنرينج وشميتس يبحثان عن مكان الكتابة)
- بيدرمن : ماذا أقول ، لا أجد كلاماً أقوله ما الذى خطر ببالكما؟ لماذا تملآن سندرتى كلها بالبراميل ... بكل هذه البراميل المصفوفة المرصوفة .
- أيزنرينج : بالضبط !
- بيدرمن : ماذا تعنى ؟
- أيزنرينج : سى يوبو أخطأ فى الحساب .. حسب اثنى عشر برميلاً على خمسة عشر متراً ، هذا هو حسابك ، والسندرة كلها أقل من مائة متر مربع .. فماذا أفعل بالبراميل الزائدة ؟ لا أستطيع أن أتركها فى الشارع ، يا سيد بيدرمين ، ولا شك أنك تفهم هذا.
- بيدرمن : أنا لا أفهم شيئاً .
- (شميتس يشير إلى اللوحة التى كتبت عليها بيانات البرميل)
- شميتس : هنا يا سيد بيدرمين ، هنا اللوحة .
- بيدرمن : لسانى انعقد .
- شميتس : هنا مكتوب اسم المكان الذى أتت منه ، هنا .
- بيدرمن : لسانى انعقد .
- (بحلق فى اللوحة)

تحت

(أنه تصطحب أحد رجال الشرطة إلى داخل الحجرة)

أنه : سأناديه .

(تذهب ويانتظر رجل الشرطة)

بيدرمن : فوق

بنزين ؟

تحت

(أنه تعود)

أنه : ما هو الموضوع يا حضرة الضابط ؟

رجل الشرطة : موضوع خاص بالعمل .

(أنه تذهب ورجل الشرطة ينتظر)

فوق

بيدرمن : هل هذا صحيح يا سادة ، هل هذا صحيح ؟

أيزينرينج : ماذا ؟

بيدرمن : المكتوب على اللوحة .

(يشير لهما إلى اللوحة)

من تظنوننى ؟ هذا شىء لم يحدث لى من قبل ، أم هل
تعتقدان أننى لا أستطيع القراءة ؟

(يحملقان فى اللوحة)

انظرا ، هه .

(يضحك ضحك الإنسان من شىء لا حياء فيه)

بنزين ؟

(يتكلم بلهجة وكيل النيابة عندما يحقق)

ماذا فى هذه البراميل ؟

أيزينرينج : بنزين .

بيدرمن : ليس هذا مجال التنكيت . أنا أسألكما للمرة الأخيرة : ماذا فى

هذه البراميل ؟

وأنتما تعلمان كما أعلم أنا تمامًا أن البنزين لا مكان له فى
السندرة .

(يمسح بإصبعه على أحد البراميل)

من فضلك - شم بنفسك .

(يضع إصبعه تحت أنف كل منهما)

هل هذا بنزين أم لا ؟

(يشمشان ثم ينظر الواحد منهما إلى الآخر)

أريد الإجابة .

أيزينرينج : هذا بنزين .

شميتس : هذا بنزين .

الاثنان معا : بكل تأكيد .

بيدرمن : هل أنتما من المجانين ؟ أتملآن سندرتهى بالبنزين !

شميتس : ونحن لهذا لا ندخن يا سيد بيدرمن .

بيدرمن : وتفعلان هذا يا أيها السادة فى هذا الوقت الذى ما يكاد الإنسان

فيه يفتح جريدة حتى يقرأ فيها تحذيراً ، فيم تفكران ؟ علام

تنويان ؟ لو أن زوجتى رأت هذا لأصابها الشلل على الفور .

أيزينرينج : رأيت !

بيدرمن : لا تقل رأيت ! رأيت ! بمناسبة وبغير مناسبة .

أيزينرينج : هذا شيء لا يحق لك ياويو أن تتوقعه من امرأة ، من ربة بيت ،

وأنا أعرف ربات البيوت .

(أنه تنادى فى بير السلم)

أنه : يا سيد بيدرمن ، يا سيد بيدرمن .

(بيدرمن يعلق الباب)

بيدرمن : يا سيد شميتس . يا سيد ...

أيزينرينج : أيزينرينج .

بيدرمن : إذا لم تقوما فى الحال بإخراج هذه البراميل من البيت ، فى

الحال ، على الفور ، مفهوم !

أيزينرينج : فسوف تستدعي الشرطة .

بيدرمن : نعم .

شميتس : رأيت .

(أنه تنادى فى بير السلم)

أله : يا سيد بيدرمن .

(بيدرمن يقول هامسا)

بيدرمن : لقد كانت تلك هى كلمتى الأخيرة .

أيزنرينج : أية كلمة ؟

بيدرمن : أنا لا أقبل أن يكون فى سندرتى بنزين ، أقولها بملء فمى
للمرة الأخيرة .

أنا لا أقبل ذلك على الإطلاق .

(يقرع أحدهم الباب)

حاضر ، حاضر .

(يفتح الباب ليخرج فيدخل رجل الشرطة)

رجل الشرطة : أنت هنا يا سيد بيدرمن ، الله ، أنت هنا ، إذن فلا حاجة بك
إلى النزول ، وأنا لن أزعجك طويلا .

بيدرمن : صباح الخير .

رجل الشرطة : صباح الخير .

أيزنرينج : .. باح الخير .

شميتس : .. باح الخير .

(شميتس وأيزينرينج ينحنيان)

رجل الشرطة : الموضوع يتلخص فى أن حادثة وقعت .

بيدرمن : يا ساتر يا رب .

رجل الشرطة : رجل متقدم فى السن تدعى زوجته أنه كان يعمل لديك -

كمخترع ! - فتح على نفسه فى هذه الليلة صنبور الغاز .

(يراجع كراسه الصغيرة)

اسمه كنيشتلينج ، يوهان كنيشتلينج ، عنوانه : حارة روسجاسه

، نمرة ١١ .

(يدس الكراسه الصغيرة فى جيبه ثانية)

هل كنت تعرف شخصاً تنطبق عليه هذه البيانات ؟

بيدرمن : نعم .

رجل الشرطة : ربما فضلت يا سيد بيدرمن أن يكون الحديث بينى وبينك

وحدنا .

بيدرمن : نعم .

رجل الشرطة : فالموضوع لا شأن لخدمك به .

بيدرمن : لا ..

(يظل واقفاً بالبواب)

وإذا بحث أحد عنى يا سادة فأنا فى قسم الشرطة ، مفهوم ؟

وسأعود على الفور .

(شميتس وأيزينرينج يهزان رأسيهما بالإيجاب)

رجل الشرطة : يا سيد بيدرمين ..

بيدريمن : هيا بنا نذهب .

رجل الشرطة : ماذا تضعون في هذه البراميل ؟

بيدريمن : أنا ؟

رجل الشرطة : إذا سمحت لي بأن أسأل .

بيدريمن : دهان للشعر .

(ينظر إلى شميتس وأيزينرينج)

أيزينرينج : ماركة « هورموفلور » .

شميتس : « صيحة الارتياح في دنيا الرجال » .

أيزينرينج : هورموفلور .

شميتس : « جربه اليوم .. ولا تنتظر إلى الغد » .

أيزينرينج : « لن تندم فسترى أثره الفعال » .

الانثان معاً : هورموفلور .. هورموفلور .. هورموفلور .

(رجل الشرطة يضحك)

بيدريمن : هل مات ؟

(بيدريمن ورجل الشرطة يخرجان)

أيزينرينج : رجل ظريف .

شميتس : ألم أقل لك هذا ؟

- أيزينرينج : ولكنه لم يشر إلى طعام الإفطار بكلمة واحدة .
شميتس : لم يتصرف على هذا النحو من قبل قط .
(أيزينرينج يدس يده فى جيب البنطلون)
أيزينرينج : هل معك كبسولة الإشعال ؟
(شميتس يدس يده فى جيبه)
شميتس : لم يتصرف على هذا النحو من قبل قط .

الكورس : شعاع الشمس
يا رمش العين الإلهية
أضىء مرة أخرى بنورك
نهاراً
سقوف المدينة الأليفة .

- رئيس الكورس: اليوم كالأمس .
الكورس : سلام علينا .
رئيس الكورس: لم يقع للمدينة النائمة شىء .
الكورس : سلام علينا .
رئيس الكورس: لم يقع شىء حتى الآن ..
الكورس : سلام علينا .

(تنتهى إلى الأسماع أصوات ضجيج المرور وآلات تنبيه السيارات

والترام)

رئيس الكورس : والإنسان

عندما يفكر ويتدبر ما يرى
يكون واعياً ماهراً قادراً على مجابهة كثير من الأخطار .

إذ يلحظ بعقل نبيه

دلائل الكارثة

قبل فوات الأوان .. عندما يشاء .

الكورس : وماذا تكون الحال إذا هو لم يشأ ؟

رئيس الكورس : إذا هو قرأ الصحف

ليعرف أخبار الخطر الوشيك

كل يوم ساعة الإفطار ،

وهاج وماج لحدثٍ بعيد

إنه يتلقى كل يوم فيما يقرأ تعليقات

توفر عليه التفكير .. فلا يفكر هو بذاته

ويعرف اليوم ما قد جرى بالأمس ،

فهو لا يستطيع إلا على نحو عسير

أن يفهم حقيقة ما يجري

تحت سقف بيته هو .

الكورس : ما لم تنشره الجرائد .

رئيس الكورس : وهو واضح كل الوضوح .

الكورس : عجيب غاية العجب .

رئيس الكورس: واقعى تمام الواقعية .

الكورس : إنه يكره أن يعرف حقيقته ، لأنه لو عرفها .

(رئيس الكورس يقطع كلام الكورس بحركة من يده)

رئيس الكورس: ها هو ذا قد أتى .

(يتجه الكورس إلى الناحية الأخرى)

الكورس : لم يحدث شىء للمدينة النائمة

اليوم مثل الأمس ،

وحتى ينسى الخطر الداهم

يرتمى المواطن ،

حليق الذقن ناعم الخدّ ،

فى بحر التجارة .

(يظهر بيدرمين مرتدياً المعطف والقبعة ومتأبطاً الحقيبة)

بيدريمن : تاكسى ؟ تاكسى ؟ تاكسى ؟

(الكورس يقف فى طريقه)

ماذا تريدون ؟

الكورس : آه !

بيدريمن : ماذا تريدون ؟

الكورس : آه !

بيدريمن : لقد قلت ذلك من قبل .

الكورس : آه ثم آه ثم آه ! ثلاث مرات .

بيدريمن : لماذا ؟

رئيس الكورس: شيء يشير الشك كل الشك .

فيما يبدو لنا

شيء سريع الالتهاب تَكشَّفَ

لأبصارنا ولبصرك .

فكيف أفسره ؟

براميل مليئة بالوقود فوق هامة البيت .

(بيدرمين يصيح)

بيدريمن : ليس هذا من شأنكم .

(صت)

دعوني أمرّ - لا بد أن أذهب إلى محام - ماذا يريدون مني ؟ أنا

بريء ..

(يبدو بيدريمن على هيئة من تملكه الخوف)

هل هذا تحقيق يجري معي ؟

(يبدو بيدريمن على هيئة المطمئن اطمئنان السادة)

دعوني أمر ، هه .

(الكورس يقف ثابتاً لا يتحرك)

الكورس : لا يليق بالكورس قط .

أن يقوم قاضياً على مواطنين ممن يعملون .

رئيس الكورس: الكورس ينظر إلى الأشياء من الخارج - ذلك شأنه -

وهو لهذا يفهم على نحو أيسر ، ويتبين الخطر الداهم .

الكورس : متسائلاً في أدب فقط ،

وسط الخطر الذى يشير فينا الفرع
محدراً فقط ، آه ، ثابتاً ، والعرق يتفصّد منه بارداً ،
يقترّب الكورس على النحو المعروف ،
فى وعى وعجزٍ معاً ، وبمؤازرة المواطن للمواطن
حتى يفوت أوان إطفاء الحريق ،
مثلما يفعل رجال فرقة الإطفاء .
(ينظر بيدرمين إلى ساعة يده)

بيدريمين : أنا مستعجل .

الكورس : آه !

بيدريمين : إننى فى الحقيقة لا أعرف ماذا تريدون .

رئيس الكورس : لقد سكت على البراميل ذات الوقود ،

يا جوتليب بيدرمين ، فما تفسيرك لذلك ؟

بيدريمين : تفسيرى ؟

رئيس الكورس : أنت تعرف أن العالم ملتهب ، قابل للاشتعال

يا جوتليب بيدرمين ، فماذا فكرت ؟

بيدريمين : فكرت ؟

(يستعرض الكورس)

إننى ، يا أيها السادة ، مواطنٌ حر . ولى أن أفكر فيما أشاء .
فماذا تريدون بهذه الأسئلة ؟ إن لى الحق ، يا أيها السادة ، فى
أن أمتنع عن التفكير كل الامتناع - هذا بغضّ النظر ، يا أيها
السادة ، عن أن ما يجرى ، يجرى تحت سقف بيتى - فأنا بعد

كل شيء ، وفي النهاية ، وفي آخر المطاف ، مالك البيت -
لابد أن أقول لكم هذا .

الكورس : تقدّست يا ذات القدسية

أنت أيتها الملكية

مهما ينجم عنك ويتأتى منك

مما يستحيل إطفأؤه كل الاستحالة

ثم يحرقنا جميعاً فإلى فحم نصير :

تقدّست يا ذات القدسية .

بيدرمن : هكذا !

(صمت)

لماذا لا تدعوني أمر ؟

(صمت)

لا ينبغي على المرء أن يفكر دائماً في أقبح الاحتمالات . إلام
تنتهى حالنا لو فكرنا دائماً في أقبح الاحتمالات ؟ أنا أريد
راحتي وسلامي ، ولا أريد شيئاً آخر ، أما موضوع الرجلين -
فعلى الرغم من أنني الآن مشغول بهموم أخرى .

(تظهر بابيئه مرتدية المعطف والقبعة)

ماذا تريدان هنا ؟

بابيئته : هل أسبب لك إزعاجاً ؟

بيدرمن : أنا مشغول بمحادثات تجرى بين الكورس وبينى .

(بابيئه تومئ برأسها إلى الكورس ، ثم تهمس في أذن بيدرمين)

بيدرمن : طبعاً بشرط وربطة وعقدة . التكاليف لا تهمنى ، الذى يهمنى

هو أن يكون إكليلاً من الزهور .

(تومئ بابيئه إلى الكورس برأسها)

بإيَّته : لا مؤاخذه يا حضرات السادة .

(تبتعد)

بيدرمن : سأقول لكم كلمة واحدة ، باختصار ، يا حضرات السادة ، لقد فاض بي الكيل . يا لكم ولحديثكم الذى لا ينتهى عن مشعلى الحرائق . لقد فاض بي الكيل لدرجة أننى لم أعد أذهب إلى مائدتى المعهودة فى أية حانة . ألم يعد لدى الناس فى أيامنا هذه موضوع آخر للحديث سوى هذا الموضوع ؟ وإذا كنا سنعتبر كل إنسان - باستثنائنا نحن طبعاً - يا ساتر ، يا حفيظ من مشعلى الحرائق ، فكيف يمكن أن تتحسن الأحوال ؟

يا مغيث ! يا هو . لا بد للإنسان من شىء من الثقة ! لا بد للإنسان من شىء من النية الطيبة ! هذا هو رأى ، لا ينبغي أن يرى الإنسان الشر وحده دون ما سواه ، يا ساتر ، يا حفيظ ، يا مغيث ، يا هو ! ليس كل إنسان من مشعلى الحرائق ، هذا هو رأى . شىء من الثقة ، شىء من ال ..

(فترة)

لا يمكن أن أخاف طوال الوقت .

(فترة)

أنتم تقصدون ما حدث فى هذه الليلة ، فهل تظنون أننى أغمضت عينا واحدة ؟ أنا لست من البلهاء يا حضرات السادة . بنزين يعنى بنزين . لقد قلبت فى ذهنى أشق الأفكار وأعسررها .. وطلعت فوق المنضدة ، ووقفت عليها مرهفاً السمع أتصنت على ما يجرى، فوقى ، ثم طلعت بعد ذلك فوق الدولاب ، حتى ألصق أذنى على سقف الحجرة ، إلى هذا الحد . طبعاً كانا

نائمين يشخران ، نعم كانا يشخران ، طلعت فوق الدولاب أربع
مرات على الأقل ، كانا يشخران فى سلام وأمان وسكينة .
ولكنى لم أكتف بهذا . لقد ذهبت مرةً إلى بير السلم ، ووقفت
فى بير السلم ، وأنا أرتدى - ولكم أن تصدقوا أو لا تصدقوا -
وأنا أرتدى البيجاما من شدة غضبى ، من فرط غيظى ، بل لقد
أوشكت على أن أوقظ الصعلوكين ، وعلى أن ألقى بهما إلى
قارعة الطريق - مع براميلهما كلها ! - بيدى هذه ، وفى غير
رحمة ، فى جوف الليل .

الكورس : بيديك ؟

بيدرمن : نعم .

الكورس : بلا رحمة .

بيدرمن : نعم .

الكورس : فى جوف الليل .

بيدرمن : أوشكت على هذا ، نعم ، لولا أن زوجتى أتت إلى لأنها خافت

أن أصاب بالبرد . كنت على وشك .

(يتناول سيجاراً من فرط ارتباكاه)

رئيس الكورس : أتول مرةً أخرى : بماذا أفسر الحال .

لقد أمضى الليلة ساهراً لا تغمض له عين .

أما أن الرجلين يسيئان استغلال طيبة المواطن

فهل ترون ذلك يا ترى أمراً جديراً بالتفكير ؟

لقد تملكته الحماسة .. لماذا ؟

(بيدرمن يشعل سيجاره)

الكورس : الحق أن رجل المال والأعمال يحيا حياة صعبة .
ونعنى بالذات ذلك الذى تظهر فى التجارة قسوته
وله فيما عداها روح البشر
فهو المستعد عن طيب خاطر
لفعل الخير .

رئيس الكورس : حيث يجد أن فعل الخير يناسبه ، وفى صالحه .

الكورس : ويخطيء خطأ خطيراً

من يأمل فى الخير

الذى يصدر عن حسن النية و طيب الطوية .

بيدرمن : ماذا تريدون بهذا قولاً ؟

الكورس : كل ما فى الأمر أننا ظننا رائحة البنزين قد فاحت .

(بيدرمين يشمشم)

بيدرمن : فأنا إذن يا أيها السادة لا أتم شيئاً .

الكورس : آه لنا !

بيدرمن : لا أشم شيئاً على الإطلاق .

الكورس : آه لنا !

رئيس الكورس : لقد اعتاد على الرائحة الكريهة فلم يعد يشمها .

الكورس : آه لنا !

بيدرمن : ما بالكم تعودون دائماً إلى هذه الانهزامية ، أيها السادة ،

فتكررون وتعيدون : آه لنا .

(يأتي إلى السمع صوتٌ نغير سيارة)

تاكسى ! - تاكسى !

(يأتى إلى السمع صوت سيارة تقف)

بعد إذنكم .

(بيدرن يهرول بعيداً)

الكورس : أيها المواطن - إلى أين ؟

(يتناهى إلى السمع صوت سيارة تتطلق)

رئيس الكورس : عَلَامَ عقد النية الآن هذا المنحوس ؟

لقد لاح لى خائفا مرتبكاً شاجباً ؛

إذ لاذ بالفرار

مصمماً فى خوفٍ على شىء : ما هو ؟

(يأتى إلى السمع صوت نغير سيارة)

الكورس : لقد اعتاد على الرائحة الكريهة .

(صوت نغير السيارة أصبح بعيداً)

آه لنا !

رئيس الكورس : آه لكم !

(الكورس يخطو إلى الوراء ، إلا رئيس الكورس الذى يتناول غليونه)

رئيس الكورس : ما الذى يستطيع فعله

مَنْ يخشى التغير

أكثر من خشيته الكارثة ؟ .

لدرء الكارثة ؟

(يتبع الكورس)

المشهد الرابع

السندرة

(أيزنبريتج بمفرده ، يعمل ، يحل خيطاً من الكبسولة ، ويصفر في أثناء ذلك لحن ليلى مارلين . يقطع صغيره ليبلل إصبع السبابة بريقه ، ثم يخرج إصبع السبابة من الطاقة ليختبر شدة الريح .)

الحجرة :

(يدخل بيدرمين ومن ورائه بابيئته ، بيدرمين يخلع المعطف ويلقى الحقيبة ، أما السيجار فيظل بين شفتيه .)

بيدرومن : افعلى ما قلت لك .
بابيئته : قلت أوزة ؟
بيدرومن : نعم أوزة .

(يخلع الكرافتة والسيجار لا يزال بين شفتيه)

بابيئته : لماذا تخلع الكرافتة يا جوتليب ؟

(يعطيها الكرافتة)

بيدرومن : إذا أبلغت الشرطة عنهما ، عن الرجلين ، فإننى أجعلهما يقيناً عدواً لى . وما هى الفائدة التى تعود علينا ؟! إنهما يستطيعان بعود كبريت واحد - عود كبريت واحد - أن يشعلا النار في بيتنا كله حالاً وما هى الفائدة التى تعود علينا ؟ أما إذا صعدت إليهما ودعوتهما - إذا قبلا دعوتى ..

بابيئة : فماذا تكون النتيجة ؟

بيدرمن : سنكون أصدقاء .

(يخلع سترته ويعطيها لزوجته ويذهب)

بابيئة : ليكن في علمك ، يا أنه ، أنك لن تغادري البيت مساء اليوم

لأننا ننتظر ضيوفا . أعدى المائدة من فضلك لأربعة أشخاص .

السندرة

(أيزينريج يغنى أغنية ليللى مارلين . يقرع أحدهم الباب .)

أيزينريج : ادخل .

(يستمر في تصغير اللحن ، ولكن أحدا لا يدخل)

(يدخل بيدرمين وقد شمر كميته وأمسك السيجار بيده)

صباح الخير يا سيد بيدرمين .

بيدرمن : تسمح لي .

أيزينريج : كيف نمت هذه الليلة ؟

بيدرمن : شكراً ، نمت نوماً رديئاً ، دونه نوم البؤساء .

أيزينريج : وأنا أيضاً ، هذه أيام الخماسين .

(يستمر في العمل بالخيط والكبسولة)

بيدرمن : لا أريد أن أعطلك .

أيزينريج : العفو يا سيد بيدرمين ، أنت هنا في بيتك .

بيدرمن : ولا أريد أن أحشر نفسي .

(يتناهى إلى السمع صوت هدير الحمام)

وأين صديقنا ؟

أيزينرينج : تقصد بويو ؟ إنه يؤدي عمله . يا له من كلب كسول ! تصور ..
إنه لم يكن يريد الخروج إلا بعد تناول الفطور . لقد أرسلته
ليحضر قشاً .

بيدرمن : ليحضر قشاً ؟ !

أيزينرينج : لأن القش يحمل الشرر إلى أبعد مدى .

(بيدرمن يضحك في أدب وكأنه يضحك من نكتة خفيفة)

بيدرمن : ماذا كنت أريد أن أقول يا سيد أيزينرينج .

أيزينرينج : ربما كنت تريد أن تقول إنك تريد أن تلقى بنا إلى قارعة
الطريق ؟

بيدرمن : في جوف الليل .. كانت حيوبى المنومة ، لعلمك ، قد فرغت
كلها عندما خطر ببالي أنه ليس لديكم هنا فوق مرحاض يا
حضرات السادة .

أيزينرينج : لدينا المزراب المتدلى من السطح .

بيدرمن : على راحتكم ، يا حضرات السادة ، على راحتكم . كل ما فى
الأمر أن موضوع المرحاض خطر ببالي ، وشغلنى طوال الليل .
ولعلكما تريدان استعمال الحوض أو الدش . يمكنكما ، إن
شئتما استخدام حمامى الخاص . وقد قلت لأنه أن تضع فوطاً
نظيفة لكما .

(أيزينرينج يهز رأسه)

لماذا تهز رأسك ؟

أيزينرينج : أين وضعها يا ترى ؟

بيدرمن : وضع ماذا ؟

أيزينرينج : هل رأيت كبسولة الإشعال ؟

(يبحث هنا وهناك)

- لا تشغل بالك يا سيد بيدرمين بموضوع الحمام . صدقتى
بيدرمن : ولعلك تعرف أن السجن كذلك لم يكن به حمام .
السجن ؟
أيزينرينج : ألم يحك لك يويو أنتى أنا أيضاً قادم من السجن ؟
بيدرمن : لا .
أيزينرينج : ألم يشر إلى ذلك بكلمة واحدة ؟
بيدرمن : لا .
أيزينرينج : إنه يتحدث دائماً عن نفسه فقط . هناك أناس من هذا النوع :
لا يتحدثون إلا عن أنفسهم فقط . ولكن ما شأننا نحن . إذا
كان قد تعذب فى صباحه ؟ هل تعذبت أنت يا سيد بيدرمين فى
صباحك ؟ أنا : لا . كان فى مقدورى أن أدرس فى الجامعة ،
وأبى كان يريد لى أن أصبح من رجال القانون .
(يقف عند الطاقة ويتكلم مع الحمام)
(جور .. جور ... جور * .)
(بيدرمين يشعل سيجاره مرة أخرى)
بيدرمن : أنا يا سيد أيزينرينج لم أتم طوال الليل ، هل فى هذه البراميل
بنزين ، قل لى بصراحة ؟
أيزينرينج : أنت إذن لا تثق فىنا ؟
بيدرمن : أنا أسأل مجرد سؤال .
أيزينرينج : ما هو رأيك فىنا يا سيد بيدرمين ، بصراحة : ماهو رأيك بالضبط
فىنا ؟
بيدرمن : لا يصح يا صديقى أن تظن أنى لا أفهم المداعمة ، ولكن
طريقتكم فى المزاح طريقة لا بد أن أقول إنها ..

* صوت كلام أيزينرينج مع الحمام .

أيزينرينج : هذا شيء تعلمناه .
بيدرمن : ما هذا الذي تعلمتموه ؟
أيزينرينج : إن المزاح يحتل المركز الثالث بين وسائل التمويه الممتازة . أما
المركز الثاني فتحته النواحي العاطفية : الكلام الذى يحكيه
صديقنا يوبو عن طفولته بين الحطابين فى الغابة ، وملجأ الأيتام
والسيرك وما إلى هذا وذاك . أما طريقة التمويه الأكيدة التى لا
تدانيها طرق أخرى فهى فى رأى الحقيقة الصريحة المجردة .
شيء غريب ! شيء مضحك ! الحقيقة الصريحة المجردة لا
يصدقها أحد !

الحجرة :

(أنه تقتاد الأرملة كنيشتلينج التى تلبس السواد إلى داخل الحجرة)

أنه : تفضلى ، اجلسى .

(الأرملة تجلس)

ولكن إذا كنت أنتِ زوجة كنيشتلينج ، فلن تصلى إلى شيء ،
فقد قال السيد بيدرمن إنه لا يريد أن تكون له بك أية صلة .

(تنهض الأرملة)

تفضلى ، اجلسى .

(الأرملة تجلس)

ولكن لا تمنى نفسك بشيء .
(أنه تخرج)

السندرة

(أيزينرينج يقف ويحرك يديه ببعض الأعمال ويدير من يقف ويدخن)

- أيزينرينج : لقد تأخر صاحبنا يويو طويلاً . أين هو يا ترى . ليس إحضار القش عملية صعبة . عسى ألا يكونوا التقطوه ؟
- بيدر من : التقطوه ؟
- أيزينرينج : ما الذى يضحك فى هذا ؟
- بيدر من : إنك يا سيد أيزينرينج عندما تتحدث على هذا النحو تلوح لى كأنك أتيت من عالم آخر . التقطوه ؟ كلمة أراها خلافة ، رائعة . كأنك أتيت من عالم آخر . ولعلك تعرف أنه من النادر أن يلتقطوا واحداً من محيطنا .
- أيزينرينج : لأن الناس فى محيطكم لا يسرقون قشاً ، هذا شيء واضح ياسيد بيدر من ، وتلك هى الفروق الطبقية .
- بيدر من : كلام فارغ .
- أيزينرينج : لعلك لا تريد أن تقول يا سيد بيدر من إن ..
- بيدر من : أنا لا أؤمن بفوارق طبقية ، ولا بد أنك يا أيزينرينج قد شعرت بذلك ، أنا لست من الطراز القديم . على العكس ، إننى أشعر

بخالص الأسى لأن الناس فى الطبقات الدنيا بالذات لا يكفون
عن الثرثرة عن الفروق الطبقيه . ألسنا اليوم جميعاً ، فقراء
وأغنياء ، خلق الخالق ذاته ؟ والطبقة الوسطى أيضاً . ألسنا ،
أنت وأنا ، بشرأ من لحم ودم ؟ لا أعرف يا سيدى ، هل تدخن
السيجار أنت أيضا ؟

(يقدم إليه سيجارا ولكن أيزينينج يهزأسه)

وأنا لست من أنصار التسوية بين الناس بطبيعة الحال ، سيكون
هناك فى كل زمان من يتصفون بالمهارة ومن يفتقرون إلى المهارة ،
والحمد لله على ذلك ، ولكن لماذا لا نمد أيدينا بعضنا إلى
البعض الآخر ؟ إن الأمر لا يحتاج إلا إلى شىء من حسن النية ،
سبحان الله يا سيدى ، إلى شىء من المثالية ، شىء من الـ ..
وبهذا نعم جميعاً بالطمأنينة والسلام ، فقراء وأغنياء ، ألا ترى
أنت أيضاً هذا الرأى ؟

أيزينينج : إذا سمحت لى بأن أتكلم بصراحة يا سيد بيدرمين .

بيدرومن : بل أنا أرجوك أن تتكلم بصراحة .

أيزينينج : فإذا تكلمت بصراحة تعدنى بألا تحملها محملاً سيئاً ؟

بيدرومن : كلما زدت فى الصراحة كان ذلك أفضل .

أيزينينج : أنا من رأى - بصراحة - أنه لا ينبغي لك أن تدخن هنا .

(بيدرومن يرتاع ويطرف السيجار)

ليس من حقى أن أصدر إليك أوامر يا سيد بيدرومن ، فالبيت أولاً
وأخيراً بيتك ، ولكنك تفهم .

بيدرومن : هذا شىء بديهى .

(أيزينينج ينحنى)

أيزينرينج : ها هي ذى .

(يلتقط شيئاً من الأرض وينفخ فيه لينظفه قبل أن يثبت الخيط به -

ويعود إلى تصفير لحن ليلى مارلين)

بيدرمن : قل لى يا سيد أيزينرينج: ما هذا الذى تعمله طوال الوقت؟ هل

تسمح لى بأن أسألك : ما هذا ؟

أيزينرينج : كبسولة الإشعال ..

بيدرمن : - ؟

أيزينرينج : وهذا هو خيط الإشعال ، الفتيل .

بيدرمن : - ؟

أيزينرينج : هناك أصناف أفضل من هذا الصنف موجودة حالياً ، على ما

يقول يوبو . ولكننا لم نعثر عليها فى مخازن الذخيرة ، وليس فى

مقدورنا أن نشترىها . كل شىء يتصل بالحرب باهظ الثمن ،

وفائق الجودة .

بيدرمن : هل قلت إن هذا خيط إشعال ؟

أيزينرينج : خيط إشعال من النوع الذى يحدث فرقة .

(يقدم إلى بيدرم من طرف الخيط)

أمسك هذا الطرف يا سيد بيدرم من فضلك ، حتى أتمكن

من القياس .

(بيدرم يمسك الخيط)

بيدرمن : دعنا من المزاج يا صديقى .

أيزينرينج : لحظة واحدة من فضلك .

(يصفر لحن ليلى مارلين ويقيس خيط الإشعال)

شكراً يا سيد بيدرمن . شكراً جزيلاً .
(بيدرمن لا يستطيع حبس الضحك)

بيدرومن : لا يا فيللي ، أنا لست ممن تستطيع الضحك عليهم ، أنا : لا !
ولكنني لا بد أن أقول لك إنك تُعول كثيراً على قدرة الآخرين
على فهم النكتة ، كثيراً جداً ، وأنا من السهل أن أتصور أنهم
يلقون القبض عليك من حين لآخر عندما تتكلم هذا الكلام ،
ليس لجميع الناس ، يا صديقي ، ليس لجميع الناس ما لدى
من قدرة على فهم النكت .

أيزينرينج : وينبغي على الإنسان أن يعرف كيف يختار الناس .

بيدرومن : فالذين يجلسون إلى مائدتي المعهودة في الحانة على سبيل المثال
يتصورون الويل والثبور وعظائم الأمور ، يتصورون سدوم وعمورة
عندما يقول الإنسان لهم مثلاً إنه يؤمن بما في البشر من طيبة .

أيزينرينج : يا ..

بيدرومن : هذا إلى أنني نفحت رجال المطافىء عندنا مبلغاً من المال لا أريد
ذكر مقداره .

أيزينرينج : يا ...

(يمد خيط الإشعال)

وقد يخفف عنك أن تعلم أن الناس الذين يفهمون النكتة ينتهون
إلى ما ينتهي إليه الآخرون من ضياع عندما يحين الحين .

(بيدرومن لا يستطيع الاستمرار في الوقوف ، فيجلس فوق برميل والعرق

يتقصد منه)

ماذا بك يا سيد بيدرمين ؟ ماذا بك ؟ ما هذا الشحوب الشديد ؟!

(يريت على كتفه)

أنا أعرف مابك ... هذا هو تأثير هذه الرائحة على من لم يعتد عليها ، رائحة البنزين ، سأفتح نافذة .

(أيزينرينج يفتح الباب)

بيدريمن : شكراً

(أنه تتأدى في بير السلم)

أنه : يا سيد بيدريمن . يا سيد بيدريمن .

أيزينرينج : هل عاد البوليس يا ترى ؟

أنه : يا سيد بيدريمن .

أيزينرينج : فماذا تكون هذه الدولة إن لم تكن دولة بوليسية .

أنه : يا سيد بيدريمن .

بيدريمن : حاضر .

(يدور الحديث همساً)

يا سيد أيزينرينج ، هل تحب الأوز ؟

أيزينرينج : الأوز ؟

بيدريمن : الأوز ، نعم ، الأوز .

أيزينرينج : أنا ؟ أحب ؟ لماذا ؟

بيدريمن : محشواً بأبي فروة .. بالمارون .

أيزينرينج : ومعه الكرنب الأحمر ؟

بيدريمن : نعم لقد أتيت أصلاً لأقول لك ، إننا ، زوجتي وأنا ، وعلى

الأخص أنا ، أنا فكرت ، مجرد تفكير ... إذا أحببت ، إذا راقك

.... أنا لا أريد أن ألج .. إذا أحببت ، يا سيد أيزينرينج أن تأتي

لتناول عشاء لطيف ، أنت وويو ..

أيزينرينج : اليوم ؟
بيدرمن : هل تفضل غداً ؟
أيزينرينج : أظن أننا لن نكون هنا غداً . أما اليوم فيكل سرور يا سيد بيدرمن ، بكل سرور .

بيدرمن : إذن فسنكون في انتظاركما في الساعة السابعة .
(أنه تتادى في بير السلم)

أنه : يا سيد بيدرمن .

(بيدرمن يوافق أيزينرينج)

بيدرمن : اتفقنا ؟

أيزينرينج : اتفقنا .

(بيدرمن ينصرف ، ويقف بالباب مرة أخرى ويهز رأسه على نحو ودي)

وهو يلقي نظرة جامدة إلى البراميل وخبط الإشعال)

اتفقنا .

(بيدرمن يخرج ، وأيزينرينج يستمر في العمل وهو يصفر . يتقدم)

الكورس وكأن المشهد قد انتهى . ولكن في اللحظة التي يجتمع فيها

الكورس عند حافة المسرح تحدث جلبة في السندرة : فقد وقع هناك

(شىء .)

السندرة

أيزينرينج : يمكنك أن تخرج الآن يا دكتور .

(شخص ثالث يخرج زاحفاً من بين البراميل . هذا الشخص يلبس

نظارة)

لقد سمعت الحديث . نحن ، يويو وأنا ، مدعوان لتناول طعام العشاء ، أما أنت فستبقى هنا للحراسة . لا تدع أحداً يدخل هنا ويدخن . مفهوم ؟ إلى أن يحين الحين .

(الشخص الثالث يمسح نظارته)

إننى أتساءل أحياناً يا دكتور عما تعمله أنت عندنا أصلاً مادمت لا تحب الحرائق والشرر وألسنة اللهب المضطربة وأبواق عربات الحريق التى تأتى دائماً بعد فوات الأوان ، ونباح الكلاب ، والدخان وصياح الناس - والرماد .. ولا تتمتع بها .

(الثالث يلبس نظارته . إنه صامت جاد . أيزينرينج يضحك .)

مصلح ! يريد إصلاح أحوال الدنيا !

(يصفر برمة لنفسه دون أن ينظر إلى الدكتور)

أنا لا أحبكم أيها الأكاديميون ، وأنت تعرف ذلك ، ولقد قلت لك على الفور : إن الإنسان لا يجد المتعة فيما يعملون ، فأنتم دائماً إيديولوجيون ، جادون ، ولا تزالون هكذا حتى يصل الأمر إلى الخيانة - لا ، إن الإنسان لا يجد متعة حقيقية فيما يعملون .

(يقوم بأعمالٍ بيديه ويستمر فى الصفير)

الكورس : نحن مستعدون .

الخراطيم بدقة لفناها .

الخراطيم الحمراء ،

وكل شيء حسب التعليمات

يلمع ويرق ،

وكل بكرة من النحاس الأصفر

زيتناها بدقة وشحمتها ،

وكل منا يعرف واجبه .

رئيس الكورس: إلا أن الجو للأسف جو خماسيني .

الكورس : كل منا يعرف واجبه .

والمضخة لامعة ولها بريق ، فحسناها بدقة ،

حتى يصل الضغط إلى منتهاه في المضخة

وهي أيضاً من النحاس الأصفر .

رئيس الكورس: وحنفيات الحريق ؟

الكورس : كل منا يعرف واجبه .

رئيس الكورس: نحن مستعدون .

(تأتي بابيته ممسكة بأوزة . كذلك يأتي معها الدكتور المتخصص في

الفلسفة)

بايبيته : نعم يا دكتور ، نعم ، فهمت يا دكتور ، ولكن زوجي يا دكتور ، نعم إنه موضوع عاجل ، يا دكتور ، موضوع عاجل ، فهمت ، سأقول له .

(تترك الدكتور وتذهب إلى مقدمة المسرح)

زوجي طلب أوزة ، تفضلوا ، هاهي ذى . وطلب إليّ أن أشويها حتى يصبح وهؤلاء أصدقاء .

(يتناهى إلى السمع صوت أجراس الكنيسة تدق)

هذه هي ليلة الأحد كما تسمعون ، ولست بمستطيعه التخلص من هاجسٍ سخيف يقول لى إن هذه المرة قد تكون هي المرة الأخيرة التي تدق فيها هكذا أجراس مدينتنا ..

(بيدمرن ينادى بايبيته)

إننى ، أيتها السيدات ، لست مطمئنة إلى أن جوتليب على حق دائماً . لقد قال لى مرة : إن هؤلاء بطبيعة الحال صعاليك ، ولكننى يا بايبيته إذا ناصبتهم العداة أعرض دهان الشعر الذى أنتجه للضياح . وما كاد يدخل عضواً فى الحزب .

(بيدمرن ينادى على بايبيته مرة أخرى)

هذه هي حاله دائماً . إننى أعرف زوجي جوتليب تمام المعرفة . هذه هي حاله دائماً . قلبه طيب أكثر مما ينبغى ، آه ، قلبه طيب أكثر مما ينبغى .

(بايبيته تتصرف ومعها الأوزة)

الكورس : رجل يلبس نظارة ،

سليل بيت طيب على الأرجح ،

لا يعرف الحقد ،
ولكنه واسع الاطلاع ، على ما يبدو ، وشاحب الوجه .
لم يعد يأمل على الإطلاق في أن يتفتق الخير
عن طيبة القلب ،
فعزم على القيام بأى عمل ؛
لأن الغاية (على ما يأمل) تبرر الوسيلة
آه !

إنه هو الآخر يأمل ... آخذاً بالطيبة وبغير الطيبة معا .
ينظف النظارة حتى يكون بعيد النظر ،
فلا يرى في البراميل المليئة بالوقود
وقوداً .

إنه يرى الفكرة ويظل هكذا
حتى تتأجج النيران .

الدكتور : مساء الخير .

رئيس الكورس : إلى الخراطيم هياً .

إلى المضخة .

إلى السلالم .

(يجرى رجال المطافئ إلى أماكنهم)

رئيس الكورس : مساء الخير .

(إلى الجمهور بعد أن تناهت إلى أسماعه صيحات الاستعداد من كل

مكان)

نحن مستعدون .

المشهد الخامس

الحجرة

(أرملة كنيشتلينج لا تزال بالحجرة ، واقفة . تأتي إلى السمع أصوات
الأجراس تدق عالية جداً . أنه تعد المائدة ويبدرون يأتي بكريستين
وثيرين)

بيدرون : ولما لم يكن لدى وقت ، كما ترين يا مدام كنيشتلينج ، أقول :
لما لم يكن لدى وقت للاهتمام بالموتى ، إذا صح هذا التعبير ،
فعليك أن تذهبي إلى محاميّ .

(أرملة كنيشتلينج تتصرف)

إن الإنسان لا يسمع الكلمات التي ينطق بها ، يا أنه أفضلى
النافذة .

(أنه تغفل النافذة ، دقات الأجراس تخفت)

أنا قلت لكم : عشاء بسيط خفيف في جو وديّ أليف ، فما
معنى هذين الشمعدانين السخيفين .

أنته : إننا نستخدمهما دائماً يا سيد بيدرون .

بيدرون : أنا أقول وأكرر : عشاء بسيط خفيف في جو وديّ أليف ، كل
شيء إلا الأبهة . يا للمصيبة ! آنية للماء ! وما هذه القواعد التي
تحمل السكاكين ، كل شيء من الفضة ، كل شيء من
الفضة والكريستال ، لا شيء غير الفضة والكريستال . ماذا
سيكون الانطباع الذي تحدثه هذه الأشياء ؟ !

(يجمع قواعد السكاكين ويدسّها في جيب بنطلونه)

إنك ترين يا أنه أننى لبست أقدم سترة عادية عندى ، أما أنت ...
يمكنك أن تدعى هنا سكين تقطيع الطيور الكبيرة ، يا أنه ،
فسنحتاج إليها ، أما كل ما عداها ، فأبعديه . أبعدى الفضة
كلها ، لا بد أن أن يحس الرجلان كأنهما فى بيتهما .. أين
بريمة فتح الزجاجات ؟

أنه : ها هى ذى .

بيدرمن : أليس لدينا بريمة أبسط من هذه ؟

أنه : عندنا فى المطبخ بريمة أخرى ولكنها صدئة .

بيدرمن : أحضرها .

(يرفع من المائدة دلوأ فضياً)

ماذا يعمل هذا الدلو هنا ؟

أنه : للنبيذ .

بيدرمن : من الفضة .

(يحملق فى الدلو ثم فى أنه)

هل كان هذا الدلو عندنا دائماً ؟

أنه : إننا نحتاج إليه يا سيد بيدرمين .

بيدرمن : نحتاج إليه ! ما معنى نحتاج إليه ؟ إنما نحتاج إلى الإنسانية ،

إلى الأخوة . أبعديه - يا للمصيبة . وما هذه أيضاً ؟

أنه : فوط سفرة !

بيدرمن : من قماش الداماست ، الغالى .

أنه : ليس لدينا غيرها .

(يجمع الفوط ويدسها فى الدلو الفضى)

بيدرمن : هناك أم بأسرها تعيش بدون فوط سفرة ، أناس مثلنا -
(تدخل بابيته حاملة باقة كبيرة من الزهور ، لا يلاحظها بيدرمن على

الفور ، لا يزال أمام المائدة)

بل إننى أتساءل عن مفرش السفرة ، فيم نحتاج إليه -

بابيته : يا جوتليب ؟

بيدرمن : كل شيء إلا الفروق الطبقية .

(يرى بابيته)

وما هذا الإكليل ؟

بابيته : إنه الإكليل الذى طلبناه من محل الزهور . تصوّر يا جوتليب أنهم أرسلوه إلينا هنا . أرسلوه إلى هنا على الرغم من أننى كتبت لهم العنوان بنفسى ، عنوان كنيشتلينج ، كتبته واضحاً كل الوضوح ، لقد عكسوا كل شيء ، الشريط عكسوه ، وكل شيء عكسوه .

بيدرمن : الشريط ، كيف ذلك ؟

بابيته : بل إنهم ، كما قال الصبى الذى أحضر الإكليل ، أرسلوا ورقة الحساب إلى زوجة كنيشتلينج .

(تراه الشريط)

« إلى روح المرحوم جوتليب بيدرمن الذى لن ننساه أبد الدهر » .

(يتأمل الشريط)

بيدرمن : لا يمكن أن نقبل هذا الكلام ، لا يمكن . لا بد أن يغيروه -

(يعود إلى المائدة)

أرجوك يا بابيته لا تثيرى أعصابى الآن فأنا مشغول بأمورٍ أخرى .
يا حفيظ ! يا رب ! ليس فى إمكانى أن أكون فى كل مكان فى وقت واحد .

(بابيته تتصرف بالإكليل)

إذن فلترفع المفرش . ساعديني يا آته ، هه . وكما قلت لك . لا تدورى بالطعام على الجالسين ، ولا تتصرفى على نحو متكلف معقد . بل ادخلى بكل بساطة ، وبدون أن تفرعى الباب ، ادخلى بكل بساطة، على سجيتك، وضعى الطاسة على المائدة ؟
أته : الطاسة ؟

(يرفع مفرش المائدة)

بيدرمن : الجو تغير فى لمح البصر . ما رأيك ؟ منضدة خشبية، ولا شىء غيرها ، مثل منضدة العشاء الأخير .

(يعطيها المفرش)

أته : وما هو النبيذ الذى تحب أن أحضره يا سيد بيدرمين ؟

بيدرمن : سأحضره أنا بنفسى .

أته : يا سيد بيدرمين .

بيدرمن : ماذا تريدن ؟

أته : ليس عندى بلوفر بالشكل الذى وصفته لى يا سيد بيدرمين ، « بلوفر » بسيط يظن من يرانى ارتديه أننى من أفراد الأسرة .

بيدرمن : خذى « بلوفر » من دولاب زوجتى .

أته : هل آخذ الأصفر أم الأحمر ؟

بيدرمن : المهم ألا يبدو عليك التعقيد والتكلف . لا أريد هذه الطاقة التى على رأسك ولا المريلة التى حول وسطك . مفهوم ؟ وأبعدى عنى هذين الشمعدانين ، كما قلت لك من قبل ، وتصرفى بصفة عامة يا آته فى الحجرة حتى لا تبدو منظمة مرتبة .
سأنزل الآن إلى مخزن النبيذ أسفل البيت .

(بيدرمين ينصرف)

أنته : « تصرفى فى الحجره حتى لاتبدو منظمة مرتبه » .
(تلقى بمفرش السفره بعد أن طوته فى ركن من الأركان وتدوسه
بقدميها)

أنته : تفضل !

(يدخل شميتس وأيزينرينج وكل منهما يمك فى يده وردة)

الاثنان : مساء الخير يا آنسة .

(أنه تخرج دون أن تنظر إليهما)

أيزينرينج : لماذا لم تجد قشاً ؟

شميتس : لأنهم صادروه ، بأمر الشرطة ، كإجراء وقائى . وهم يعتقلون

من يشتري أو يحوز قشاً ، دون تصريح من البوليس .. إجراء

وقائى فى الدولة كلها .

(يمشط شعره)

أيزينرينج : ألا يزال معك بعض أعواد الثقاب ؟

شميتس : لا .

أيزينرينج : ولا أنا .

(شميتس يفت فى المشط لينظفه)

شميتس : لا مفر من أن نرجوه أن يعطينا بعض أعواد الثقاب .

أيزينرينج : بيدرمن ؟

شميتس : ولا يصح أن ننسى .

(يدس المشط فى جيبه ويشمشم حواليه)

الله ! راحة الطعام الذكية .

(بيدرمن يتقدم إلى صدر المسرح حاملاً زجاجات نبيذ بين ذراعيه)

بيدرمن : يمكنكم يا حضرات السادة أن تظنوا بي ما تشاءون من الظنون .
ولكن أجيئوا على سؤال واحد أوجهه الآن إليكم .

(تتناهى إلى السمع صيحات مختلطة وضحكات)

إننى أقول فى نفسى إنهم طالما استرسلوا فى الصخب والسكر فلا
يقدمون على فعل أشياء أخرى .. من كان يصدق أننى أقدم
إليهما أفضل ما فى مخزوني من أنواع النبيذ !؟

لو قال لى هذا أحد من الناس قبل أسبوع ، ماذا كنت أظن به .
صارحونى بالحقيقة ، منذ متى (بالضبط) تعرفون أيها السادة
أنهما من مشعلى الحرائق ؟ هذه المعرفة لا تأتى هكذا دفعة
واحدة ، كما تظنون يا حضرات السادة ، بل تأتى ببطء وفجاءة
... أما الشك ، أما الشك فقد ساورنى على الفور يا حضرات
السادة ، والشك يساور الإنسان دائماً - ولكنى أطلبكم بأن
تقولوا لى الحقيقة : ماذا كنتم ستفعلون بربكم لو كنتم فى
مكانى ؟ ومتى ؟

(يرهف السمع . السكون مطبق)

لابد أن أصعد إليهما .

(ينصرف مسرعاً)

المشهد السادس

الحجرة

(وليمة الأوزة على أشدها ، ضحكات وبخاسة من بيدرمين الذى لا يزال يحمل زجاجات النبيذ . إنه يضحك بشدة للنكتة التى قيلت ، ولا يستطيع تمالك نفسه من فرط الضحك . بابيئته هى الوحيدة التى لا تضحك على الإطلاق)

بيدرمن : كنسة الخياط ! هل سمعت ماذا قال ؟ لقد قال : كنسة الخياط ، قال إن كنسة الخياط تشتعل أفضل من القش .
بابيئته : ولماذا تراها نكتة ؟
بيدرمن : إنه يقول كنسة الخياط ألا تعرفين ما هى كنسة الخياط ؟
بابيئته : أعرفها : الخيوط والقصاصات التى يرميها الخياط .
بيدرمن : أنت لا تفهمين النكت يا حبيبتى !
(يضع الزجاجاة على المائدة)

ماذا يفعل الإنسان يا أصدقائى إذا كان هناك من لا يفهم النكت ؟
بابيئته : اشرح لى النكتة .
بيدرمن : أشرحها لك ، فيللى قال لى صباح اليوم أنه أرسل يويو ليسرق قشًا ، طبعًا أنت تفهمين ما هو القش ؟ ولقد سألت أنا الآن

يويو : ما هي أخبار القش ؟ فردّ علىّ بقوله : إنه لم يستطع الحصول على قش فأحضر بدلاً منه كنسة الخياط . هل فهمت ؟ والأدهى من ذلك أن فيللى قال : إن كنسة الخياط تشتعل أحسن من القش بكثير .

بايبيته : كل هذا فهمته .

بيدرمن : نعم ؟ كل هذا ؟

بايبيته : وما هي النكتة في هذا ؟

(بيدرمين يتركها وشأنها)

بيدرمن : هيا بنا نشرب أيها السادة !

(بيدرمين يلفض سادة الزجاجاة)

بايبيته : هل صحيح يا سيد شमितس أنكم أحضرتم كنسة الخياط ووضعتموها في السندرة ؟

بيدرمن : بل أقول لك ما ستضحكين منه يا بايبيته ، لقد اشتركنا قبل ظهر اليوم ، فيللى وأنا ، في قياس خيط الفتيل .

بايبيته : خيط الفتيل ؟

بيدرمن : وهو خيط فتيل من النوع الذى يحدث فرقة .

(يملأ الكؤوس)

بايبيته : هيا بنا الآن يا حضرات السادة نتكلم كلاماً جاداً : ما معنى هذا كله ؟

(بيدرمين يضحك)

بيدرمن : كلاماً جاداً ! إنها تقول : كلاماً جاداً ! هل سمعتم ماذا قالت ؟ الكلام الجاد .. هو ألا تنخدعى يا بايبيته ، ألا تدعى أحداً يسخر منك ، فإن أصدقاءنا لهم طريقتهم الخاصة في المزاح .. وأنا

أقول دائماً كل شيخ له طريقة ، وكل طائفة من الطوائف لها أسلوبها في النكت والطرائف . لم يعد باقياً من نكت أصحابنا هؤلاء إلا أن يرجوني أحدهم أن أعطيه أعواد الثقاب .

(شميتس وأيزينرينج يتبادلان نظرة)

أصل الموضوع أن السيدين لا يزالان يعتبراننى من محدثى النعمة الخوافين الذين لا يفهمون المزاح ، ويريدان ، أفهمى قصدهم الحقيقى يا سيدتى ، يريدان أن يدخلوا الروح فى نفسى .

(يرفع كأسه)

فى صحتكم .

أيزينرينج : فى صحتك .

شميتس : فى صحتك .

(يتقارعون الكؤوس)

بيدرمن : فى صحة صداقتنا .

(يشربون ويعودون إلى الجلوس)

إننا يا سادتى لا نحمل الطعام فى بيتنا إلى كل شخص ، كل واحد يمد يده بكل بساطة .

شميتس : لقد أكلت كثيراً ولا أستطيع المزيد .

أيزينرينج : لا تخجل ، فأنت لست هنا فى ملجأ الأيتام يا يويو . لا تخجل .

(يأخذ قطعة من الأوزة)

إن أوزتك يا سيدتى ممتازة ، أوزة من الطبقة الراقية .

بايبيته : يسرنى أن اسمع منك هذا .

أيزينرينج : أوزة ونبيد فرنسى أحمر « بومار » وليمة عظيمة لا بد لها فى

الحقيقة من مفرش سفرة .

- بايبيته : هل سمعت يا جوتليب ؟
- أيزينرينج : وإن لم يكن ضرورياً .. آه مفرش سفرة أبيض ، يا سلام ،
مصنوع من القماش الدمشقى ، تصطف فوقه ملاعق وشوك
وسكاكين من الفضة .
- بيدرمن : أنه .
- أيزينرينج : مفرش سفرة من القماش الدمشقى ، المزخرف بالورد ، الورد
الأبيض الذى يشبه قطرات المطر عندما تتجمد على صفحة
زجاج النافذة فى يوم من أيام الشتاء ، وإن لم يكن هذا ضرورياً
يا سيد بيدرمن ، ليس ضروريا . فلم يكن لدينا فى السجن
مفرش سفرة .
- بيدومن : أنه .
- بايبيته : فى السجن ؟
- بيدومن : أين هى يا ترى ؟
- بايبيته : هل كنت فى السجن ؟
- (أنه تأتى ، ترتدى ، بلوفر ، أحمر قانى)
- بيدرمن : هاتى مفرش سفرة حالاً .
- أته : حالاً !
- أيزينرينج : وإذا كان لديكم شىء كآنية الماء التى يغسلون فيها أطراف
أصابعهم ..
- أته : حالاً !
- أيزينرينج : لعلك تجدين تصرفنا هذا تصرفاً صبيانياً يا سيدتى ، ولكننا أناس
من عامة الشعب . يويو مثلاً ، الذى نشأ بين الحطابين ولم ير
فى حياته قاعدة سكنية ، وحلم حياته المضىعة هو أن يرى مثل
هذه المائدة وعليها الفضة والكريستال .

بابيئة : لدينا كل هذه الأشياء يا جوتليب .

أيزينرينج : ليس ضرورياً .

أنه : تفضلوا .

أيزينرينج : وإذا كان لديك يا آنسة فوط سفرة فهاتيها .

أنه : ولكن السيد بيدرمن قال

بيدرمن : هاتيها .

أنه : تفضلوا .

(أنه تأتي بكل شيء كانت قد أهدته)

أيزينرينج : أرجو ألا تؤاخذينا يا سيدتي ! هكذا الإنسان عندما يخرج من

السجن ، هكذا ، بعد أن يظل شهوراً بعيداً عن الحضارة .

(يتناول المفرش ويريه لشميتس)

أتعرف ما هذا ؟

(يتجه إلى بابيئة)

إنه لم ير في حياته شيئاً كهذا .

(يعود إلى شميتس مرة أخرى)

هذا قماش دمشقي .

شميتس : فهمنا ؟ وماذا أعمل به ؟

(أيزينرينج يلف مفرش المائدة حول رقبة شميتس)

أيزينرينج : هكذا يستعملون مفرش السفرة .

(بيدرمن يجتهد في أن يجد هذه الحركة مضحكة ويضحك)

بابيئة : وأين قواعد السكاكين التي لدينا يا أنه ، قواعد السكاكين ؟

أنه : يا سيد بيدرمن ..

بيدرمن : هاتيها .

أَنَّهُ : ولكنك قلت لى من قبل : ابعديها .
بيدرمن : هاتيها قلت لك ، أين هي ؟ أعوذ بالله ! يا ساتر !
أَنَّهُ : فى جيب بتطلونك الأيسر .

(بيدرمين يدسّ يده فى جيبه فيجدها)

أيزينرينج : بدون انفعال .

أَنَّهُ : وما ذنبى أنا ؟ !

أيزينرينج : بدون انفعال يا آنسه .

(أنه تنفجر باكياً ، تولول ، تلتفت إلى الخلف وتجري)

أيزينرينج : هذا من تأثير الانقباض الذى تحدثه رياح الخماسين .

(فترة)

بيدرمن : هيا نشرب يا أصدقائى ، هيا بنا نشرب !

(يشربون ويصمتون)

أيزينرينج : كنت آكل الأوز كل يوم ، صحيح ، عندما كنت أعمل
« جرسونا » . عندما كنت أجرى كالمسهم خلال الردهات
الطويلة حاملاً الصحن على كفى . ولكن أين كان الواحد منا
ينظف أصابعه يا سيدتى ؟ هذا هو السؤال . كان ينظفها فى
شعره . أين ينظفها إن لم يمسحها فى شعره ؟ أما الآخرون
فلديهم آنية من الكريستال يتفرق فى الماء يغمسون فيها
أصابعهم . هذا ما لن أنساه أبداً .

(يغمس أصابعه فى آنية غسيل الأصابع)

هل تعرف الجرح النفسى ؟

بيدرمن : لا .

أيزينرينج : شرحوا لى معناه فى السجن ، هناك شرحوا لى معنى كل شىء .

(يجفف أصابعه)

- بايبيته : ولماذا دخلت السجن يا سيد أيزينرينج ؟
- بيدرمن : بايبيته !
- أيزينرينج : لماذا دخلت السجن ؟
- بيدرمن : لا يليق يا بايبيته ، هذا سؤال لا يصح توجيهه لأحد .
- أيزينرينج : أنا نفسى أتساءل .. كنت كما قلت لك ، أعمل « جرسوناً » .. « جرسوناً » من الدرجة الأولى ، على قدرى ، وفجأة خلطوا بين مشعل حريق كبير وبينى .
- بيدرمن : هكذا .
- أيزينرينج : وقبضوا علىّ وأنا فى بيتى .
- بيدرمن : هكذا .
- أيزينرينج : كنت مندهشاً لدرجة أننى وافقت على التهمة .
- بيدرمن : هكذا .
- أيزينرينج : وكنت سعيد الحظ يا سيدتى ، فقد وقعتُ فى أيدى سبعة من أطرف رجال الشرطة ، كانوا حقيقة غاية فى الظرف . عندما قلت لهم : والآن لا بد أن أذهب إلى عملى . ليس لدى وقت ، قالوا لى : المؤسسة التى تعمل بها أكلتها النيران .
- بيدرمن : حرقت ؟
- أيزينرينج : بين عشية وضحاها على ما يبدو .
- بايبيته : حرقت ؟
- أيزينرينج : فقلت لهم : جميل . مادامت النيران قد أتت عليها فلدى وقت كانت مؤسستنا كلها قد استحالت إلى كومة من الخشب يتصاعد منها الدخان ، رأيتها هكذا عندما مرت سيارة السجن بجوارها ، ونظرت إليها من خلال النافذة الصغيرة ذات القضبان الحديدية .

(يشرب النبيذ على طريقة العارفين)

بيدرمن : وماذا حدث بعد ذلك ؟

(أيزينرينج يحملق فى الورقة المصقة على زجاجة النبيذ)

أيزينرينج : كان عندنا هذا الصنف أيضاً : معصور سنة تسعة وأربعين ،
كافى دى ليشانون ، سألتنى : ماذا حدث بعد ذلك ؟ يويو لا بد
أن يحكيه لك ، لقد كنت جالساً فى القاعة الخارجية أعبث
بالكلبشات ، وإذا بشيء عجيب يحدث ، إذا بهم يدخلون علينا
بشخص ، أتعرف من هو ؟
إنه هذا الرجل .

(شميتس يتهلك بشراً)

فى صحتك يا يويو .

شميتس : فى صحتك يا قيللى .

(يشريان)

بيدرمن : ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

شميتس : هل أنت مشعل الحريق؟ سألوه هذا السؤال وقدموا إليه السجائر
فقال : لا مؤاخذة ليس لدى عيدان ثقاب أشعل بها السجائر
على الرغم من أنكم يا حضرة الضابط تزعمون أننى أشعلت
الحريق .

(بضحكان ضحكات عالية ويريت الواحد منهما على فخذ الآخر)

بيدرمن : هكذا !

(دخلت أنه وقد ارتدت الطاقة والمربلة مرة أخرى ، تقدم إلى بيدرمن

بطاقة يتطلع إليها)

أنه : إنه يقول إن الموضوع عاجل ولا يحتمل التأخير .

بيدرمن : حتى عندما يكون عندى ضيوف !

(شميتس وأيزينرينج يتقارعان الكؤوس)

شميتس : فى صحتك يا فيللى .

أيزينرينج : فى صحتك يا يويو .

(يشريان ، بيدرمين يتأمل البطاقة)

باييتته : ممن هذا يا جوتليب ؟

بيدرومن : من الدكتور نفسه ، دكتور الفلسفة .

(أنه تعمل شيكا عند الدولار)

أيزينرينج : وما هذا الشيء الفضى هناك يا آنسة ؟

أنه : تقصد الشمعدانين ؟

أيزينرينج : ولماذا تخفوهما ؟

بيدرومن : هاتيهما .

أنه : ولكنك قلت يا سيد بيدرومن بنفسك ..

بيدرومن : هاتيهما قلت لك .

(أنه تضع الشمعدانين على المائدة)

أيزينرينج : ما رأيك يا يويو ؟ لديهم شمعدانات ويخفونها .

لم يعد ينقصك شيء ؟ فضة وفوقها شمع .. هل لديك عيدان

ثقاب ؟

(يدس يده فى جيب ينظونه باحثا)

شميتس : أنا ؟ ليس معى .

(يدس يده فى جيب ينظونه)

أيزينرينج : ليس لدينا للأسف عيدان ثقاب يا سيد بيدرومن ، صحيح .

بيدرومن : أنا عندى .

أيزينوينج : هاتها .

بيدرومن : أنا سأشعلهما بنفسى ، لا تتعب نفسك . أنا سأشعلهما .

(يشعل الشموع)

- بابيئة : ماذا يريد ذلك السيد بالضبط ؟
 أنه : أنا لا أفهم كلامه يا سيدتي ، إنه يقول إنه لا يستطيع الاستمرار
 في السكوت ويقول إنه سينتظر في بير السلم .
 بابيئة : على انفراد ؟ هو قال لك إنه يريد أن تكون المحادثة على انفراد ؟
 أنه : نعم ، وهو يكرر دائماً أنه يريد أن يكشف الغطاء عن أشياء مهمة
 عن أية أشياء ؟
 أنه : لم أفهم كلامه يا سيدتي على الرغم من أنه كرره مائة مرة ، إنه
 يقول إنه يريد أن يتبرأ من ...

(شموع كثيرة تضيء)

- أيزنرينج : إنها تعطي على الفور انطباعاً آخر مختلفاً كل الاختلاف . ألا
 ترين أنت أيضاً هذا الرأي يا سيدتي ؟ هذه الشموع والضوء
 الذي تنشره بالإنجليزية يسمونه « كاندل لايت » .
 بابيئة : آه بالضبط . الجو ..
 أيزنرينج : وأنا أحب الجو ..
 بيدرمين : يا سلام يا سيد أيزنرينج ، شيء يسعدني ..
 (كل الشموع تضيء)

- أيزنرينج : لا يا شميتس ، لا تمضغ بصوت عالٍ .
 (بابيئة تتنحى بأيزنرينج جانبا)
 بابيئة : دعه على راحته .
 أيزنرينج : إنه لا يحسن السلوك يا سيدتي ، لا مؤاخذة . شيء فظيع ،
 شيء أليم بالنسبة إليّ .. ولكن من أين له بالسلوك اللائق ؟ !
 من كوخ الحطّابين إلى ملجأ الأيتام .

- بايئته : أعرف ذلك .
- أيزينرينج : ومن ملجأ الأيتام إلى السيرك .
- بايئته : أعرف ذلك .
- أيزينرينج : ومن السيرك إلى المسرح .
- بايئته : لا ، لا أعرف حكاية المسرح هذه ، ولم أسمع بها .
- أيزينرينج : دنيا يا سيدتى ! أيام ! أقدار !
- (بايئته تتجه إلى شميتس)
- بايئته : أنت أيضاً اشتغلت فى المسرح ؟
- (شميتس ، بعض ، فى ورك أوزة ويهز رأسه)
- أين ؟
- شميتس : فى الظل .
- أيزينرينج : على الرغم من موهبته ، يوبو فى دور العفريت ، الشبح ، هل رأيت فى هذا الدور ؟ هيا ..
- شميتس : ليس الآن .
- أيزينرينج : لم لا ؟
- شميتس : اشتغلت فى المسرح شهراً فقط يا سيدتى ثم التهمه الحريق .
- بايئته : الحريق !
- أيزينرينج : لا داعى للخجل !
- بيدرمن : التهمه الحريق ؟
- أيزينرينج : لا داعى للخجل !
- (يحل مفرش السفرة الذى كان شميتس يتخذه على صدره كالقوطة ويلقى به فوق رأس شميتس)
- هيا !

(شميٲس يلف بالفرش الأبيض ، ينهض)

أٲه : هه . ما رأيكم . أليس منظره كالعفريت ؟

أيزينرينج : أنا خائفة .

يا بنت !

(يطوق أٲه بذراعيه ، وهى تخفى وجهها بيديها)

شميٲس : هل يمكننا ؟

أيزينرينج : هذه لغة مسرحية يا سيدتى ، تعلمها أثناء التجارب فى أسبوع

واحد فقط ، قبل أن يأتى الحريق على المسرح ، شىء عجيب .

بابيٲه : لا تتكلم دائماً عن الحريق والحرائق .

شميٲس : هل يمكننا ؟

أيزينرينج : استعداد ... ابتدء .

(الجميع يجلسون ، أيزينرينج يضم أٲه إلى صدره)

شميٲس : كل إنسان ! كل إنسان !

بابيٲه : جوتليب ؟

بيدرمن : اسكتى ، هس .

بابيٲه : رأيناها فى زالتسبورج .

شميٲس : بيدرمن ! بيدرمن !

أيزينرينج : رائع ، فى رأى أنه يمثل الدور تمثيلاً رائعاً .

شميٲس : بيدرمن ! بيدرمن !

أيزينرينج : عليك الآن أن تسأله من أنت ؟

بيدرمن : أنا ؟

أيزينرينج : نعم ، وإلا فلن يستطيع الاستمرار فى الكلام إلى نهايته .

شميٲس : كل إنسان ، بيدرمن !

- بيدرمن : وأنا الآن أقول له : من أنا ؟
 بابيئته : لا . أنت تسأله هو عمن يكون .
 بيدرمن : آه ، هكذا .
 شميتس : ألا تسمعوننى ؟
 أيزينرينج : لا يا يويو ، من البداية مرة ثانية .
 (يغيرون الوضع)
 شميتس : كل إنسان ! بيدرمن !
 بابيئته : هل أنت - على سبيل المثال - هل أنت الموت ؟
 بيدرمن : كلام فارغ !
 بابيئته : فماذا يكون غير ذلك ؟
 بيدرمن : أنت تسالين : من أنت ؟ ومن الجائز أن يكون شبح هاملت ، أو
 الشبح المتحجر ، أنت تعرفينه . أو هذا الـ الـ ، نسيت اسمه :
 مساعد مكبث .
 شميتس : من ينادينى ؟
 أيزينرينج : استمر .
 شميتس : بيدرمن جوتليب !
 بابيئته : اسأله أنت ، إنه يوجه الكلام إليك .
 شميتس : ألا تسمعوننى ؟
 بيدرمن : من أنت ؟
 شميتس : أنا روح كنيشتلينج !
 (بابيئته تنفض وتصرخ)
 أيزينرينج : قف !
 (ينزع مفرش السفرة الأبيض عن شميتس)

أنت غيبى . ما كان يليق بك أن تفعل هذا . كيف تقول
كنيشتلينج ، هذا لا يليق فلم يدفن كنيشتلينج إلا اليوم .
شميتس : لهذا السبب اخترته .

(بايئته توارى وجهها بيديها)

أيزينرينج : لا ياسيدتى ، ليس هذا روح كنيشتلينج .

(يهز رأسه امتعاضاً مما فعله شميتس)

كيف يمكن أن تتجرد من الذوق إلى هذا الحد ؟

شميتس : لم يخطر ببالى سواه .

أيزينرينج : كنيشتلينج ، لم نجد غير كنيشتلينج ، مساعد السيد بيدرمين

القديم ، المساعد المخلص الذى دفن اليوم . تصور .. إنه لا يزال

جثة متماسكة ، شاحبة بيضاء مثل مفرش السفرة ، ناصعة لامعة

مثل القماش الدمشقى ، جثة جامدة متصلبة باردة يمكن

وضعها قائمة دون أن تنثنى .

(يمسك بايئته من كتفها)

صدقينى يا سيدتى ، أقسم لك بشرفى أنه ليس روح

كنيشتلينج .

(شميتس يجفف عرقه)

شميتس : متأسف !

بيدريمن : هيا بنا نجلس .

أنه : هل انتهى الآن كل شىء ؟

(يجلسون ، فترة من الحيرة)

بيدريمن : ما رأيكم الآن فى سيجار صغير أيها السادة ؟

(يقدم علبة سيجار)

- أيزينرينج : غبى ! هانتذا ترى كيف يرتعش السيد بيدرمن .. شكراً يا سيد بيدرمن شكراً .. أم لعلك رأيت أنك بذلك تعرض شيئاً مضحكاً . وأنت تعرف تمام المعرفة أن كنيشتلينج مات منتحراً بالغاز بعد أن فعل صاحبنا جوتليب كل ما استطاع أن يفعله مع كنيشتلينج هذا . لقد أعطاه عملاً طوال أربع عشرة سنة . كنيشتلينج ، وهذا هو الجزاء .
- بيدرمن : لنكف عن الحديث فى هذا الموضوع .
- أيزينرينج : هذا هو جزاؤك على الأوزة !
- (يعدان سيجارتين)
- شميتس : هل أغنى شيئاً ؟
- أيزينرينج : ماذا تغنى ؟
- شميتس : « سرقت الأوزة يا ثعلب » .
- (يرفع صوته بالغناء)
- سرقت الأوزة يا ثعلب .
أعدّها إلينا ، أعدّها .
- أيزينرينج : دع هذه الأغنية .
- شميتس : أعدّها إلينا ، أعدّها ،
وإلا فالصياد وراءك
بنار سلاح قدر .
- أيزينرينج : إنه سكران !
- شميتس : بنار سلاح قدر .
- أيزينرينج : لا تسمعيه يا سيدتى .

شميتس : أعدها إلينا أعدها

وإلا فالصياد وراءك

بنار سلاح قذر »

بيدرمن : ظريفة جداً عبارة « سلاح قذر » هذه .

الرجال جميعاً : « سرقت الأوزة يا ثعلب » .

(يفتنون بأصواتٍ مختلفة الطبقات ، تارة بطبقة عالية ، وتارة بطبقة

منخفضة جداً ، وينوعون الغناء ما شاء لهم التنوع ، ضحكات . انثلاف

صاخب بين صحاب لا كلفة بينهم . سكون . بيدرمين يعاود الغناء

الصاخب . ويتزعم المرح حتى يبلغ المرح مداه وينتهي)

بيدرمن : والآن في صحتكم !

(يرفعون الكؤوس ، تأتي إلي الأسماع أصوات صفارات الحريق

من بعيد)

ما هذا الذي سمعته ؟

أيزينرينج : صفارات الحريق .

بيدرمن : بدون مزاح .

بايبيئه : مشعلو الحرائق ، مشعلو الحرائق .

بيدرمن : لا تصرخى هكذا .

(بايبيئه تفتح النافذة بعنف ، تقترب صفارات الحريق مدوية على نحو

مفزع ، ثم تبتعد بسرعة)

ليس الحريق لدينا . . الحمد لله .

بايبيئه : أين يمكن أن يكون الحريق يا ترى ؟

أيزينرينج : حيث تأتي رياح الخماسين .

بيدرمن : الحمد لله ليس الحريق عندنا ..
أيزينرينج : هكذا نفعل فى غالبية الأحوال : نَجْرُ المطافىء بعيداً إلى حى من
الأحياء الرخيصة خارج المدينة ، فإذا اشتعلت الحرائق بالفعل
وجدت طريق العودة موصداً .

بيدرمن : لا يا حضرات السادة ، بدون مزاح .

شميتس : هذا ما نفعله فعلاً بدون مزاح .

بيدرمن : كفى هذا الكلام الفارغ ، أرجوك . ينبغي أن يكون كل شىء
فى حدود الاعتدال . وأنت ترى أن زوجتى قد شحبت لونها
حتى أصبح وجهها بلون الطباشير .

بأبيته : وأنت ؟

بيدرمن : أعنى بصفة عامة . صفارات المطافىء هى صفارات المطافىء .
ليس فيها ما يضحك منه الإنسان ، يا حضرات السادة ،
الموضوع لابد أن ينتهى إلى نهاية ، فى موضع ما ، فى موضع
ما شب حريق ، وإلا لما خرجت سيارات الإطفاء .

(أيزينرينج ينظر إلى ساعته)

أيزينرينج : لابد أن ننصرف الآن .

بيدرمن : الآن ؟

أيزينرينج : للأسف .

شميتس : « لا الصيادح يطخك »

(يتناهى إلى السمع مرة أخرى صوت صفارات المطافىء)

بيدرمن : أعدى القهوة يا بأبيته .

(بأبيته تخرج)

وأنت يا أنه لماذا تقفين هكذا وتحملقين ؟

(أنه تخرج)

كلام بيننا يا حضرات السادة : كفاية يعنى كفاية ، زوجتى مريضة القلب .

فلنكف عن المزاح فى موضوع الحرائق .

شميتس : إننا لا نمزح يا سيد بيدرمين .

أيزينرينج : إننا مشعلو حرائق .

بيدرمن : يا حضرات السادة نريد الآن كلاماً جاداً غاية الجد .

شميتس : كلاماً جاداً غاية الجد .

أيزينرينج : كلاماً جاداً غاية الجد .

شميتس : لماذا لا تصدقنا ؟

أيزينرينج : إن بيتك يا سيد بيدرمين يغرى بالحريق كل الإغراء .. هذا شيء

لا بد أن تقرنا عليه : هناك خمس بؤرات للنار حول خمسة خزانات للغاز . وإن كانت للأسف تحت الحراسة ، ثم ريح من رياح الخماسين الشديدة .

بيدرمن : ليس هذا صحيحاً .

شميتس : يا سيد بيدرمين . إذا كنت تعتبرنا من مشعلى الحرائق فلماذا لا

نتكلم فى الموضوع بصراحة ؟

(بيدرمين ينظر نظرة إنسان منهار تماماً)

بيدرمن : أنا لا أعتبركما من مشعلى الحرائق يا حضرات السادة ، ليس

هذا صحيحاً ، هذا ظلم أنتما تظلمانى ، أنا لا أعتبرنى كما من مشعلى الحرائق .

أيزينرينج : قل الحقيقة التى ترضى ربنا .

بيدرمن : لا ! لا ! لا ! لا !

شميتس : فماذا تعتبرنا إذن ؟

بيدرمن : من أصدقائي ..

(يرتان على كتفه ويتركانه واقفا)

إلى أين تذهبان الآن ؟

أيزينرينج : لقد حان الوقت .

بيدرمن : أقسم لكما يا حضرات السادة ، أقسم بالله .

أيزينرينج : بالله ؟

بيدرمن : نعم .

(يرفع أصابعه ببطء ليقسم)

شميتس : إنه لا يؤمن بالرب ، وقيللي هذا لا يؤمن بالرب مثلك

تماماً يا سيد بيدرمن ، فما جدوى الأيمان مهما كانت

مغلظة ؟!

(يستمران في السير نحو الباب)

بيدرمن : فماذا أفعل حتى تصدقاني ؟

(يقف في طريقهما)

أيزينرينج : أعطنا بعض عيدان الثقاب الصغيرة .

بيدرمن : ماذا - ماذا أفعل ؟

أيزينرينج : ليس معنا عيدان ثقاب .

بيدرمن : وأنا .

أيزينرينج : نعم . إذا لم تكن تعتبرنا من مشعلى الحرائق .

بيدرمن : عيدان ثقاب صغيرة .

شميتس : كعلامة على الثقة ، على حدّ قوله .

(بيدرمن يدس يده في جيبه)

أيزينرينج : إنه يتردد . هل رأيت كيف يتردد ؟

بيدرمن : هس ! ولكن ليس أمام زوجتى .

(بابيئه تعود)

بابيئه : ستأتى القهوة حالاً .

(فترة)

وأنتما مصران على الذهاب ؟

بيدرمن : هكذا - أيها الأصدقاء - إن ذلك ليحزّ فى قلبنا ، ولكن المهم

أن تكونا قد أحسستما .. أنا لا أريد أن أطيل فى الكلام أيها

الأصدقاء ، بل .. ولكن لماذا لا نرفع الكلفة بيننا ؟

بابيئه : هه .

بيدرمن : أنا من رأى أن نشرب نخب رباط أخوة يجمعنا .

(يتناول زجاجة وبييمة)

أيزينرينج : قولى لزوجك الحبيب ألا يفتح لهذا الغرض زجاجة أخرى فلن

تفيد شيئاً .

(بيدرمن يفض السداة)

بيدرمن : ليس هناك شىء أستكثره عليكم أيها الأصدقاء ، ليس لدى ما

أستكثره عليكم ، وإذا كانت لديكم أيه رغبة أخرى . أية رغبة ..

(يملأ الكؤوس بسرعة ويقدم إلى كل كأساً)

أى صديقاى ، هيا نقرع الكؤوس .

(يتقارعون الكؤوس)

جوتليب .

(يقبل شميتس على خذّه)

شميتس : يويو .

بيدرمن : جوتليب .

(يقبل أيزينرينج على خذّه)

أيزينرينج : قيللى .

(يقفون وبشريون)

ولكننا لا بد أن نذهب رغم كل هذا يا جوتليب .

شميتس : للأسف .

أيزينرينج : سيدتى .

(يتناهى إلى السمع صوت صفارات الحريق)

بايبيثه : كانت أمسية رائعة .

(أجراس الخطر تدق)

أيزينرينج : بقى شىء واحد يا جوتليب .

بيدرمن : وما هو ؟

أيزينرينج : أنت تعرفه ؟

بيدرمن : إذا كانت لديك أية رغبة فأنا .

أيزينرينج : عيدان ثقاب صغيرة .

(أنه دخلت بالقهوة)

أنه : القهوة .

بايبيثه : ما بالك مضطربة مذهولة إلى هذا الحد ؟

أنه : هناك - السماء - يا سيدتى - من شباك المطبخ - السماء

مشتعلة .

(عندما ينحنى شميتس وأيزينرينج ويذهبان تكون الحمرة الشديدة قد

أطبقت ، بيدرمن يقف شاحباً مذهولاً)

بيدرمن : الحمد لله أن الحريق ليس عندنا .. الحمد لله أنه ليس عندنا ..

الحمد لله ..

(يدخل الدكتور الجامعى)

ماذا تريد ؟

دكتور الفيلسفة : لا أستطيع أن أستمر في الصمت إلى أكثر من هذا الحد .

(يستخرج من جيب السترة الداخلى ورقة ويطلعها)

« الموقع أدناه ، وقد هزت أعماقه الأحداث التي تجرى حالياً :
والتي لا يمكن ، من وجهة نظره هو أيضاً ، إلا أن توصف
بالإجرام ، يقدم هذا البيان إلى الرأى العام : »

(صفارات كثيرة تعوى ، يقرأ نصاً مسهباً لا يفهم أحد منه شيئاً .

أصوات نباح الكلاب ، أجراس الخطر ، الصراخ ، صفارات الحريق

البعيدة ، طقطقة النيران القريبة ، ثم يتقدم إلى بيدرمين ويسلمه الورقة)

أنا أعلن تبرئى .

بيدرمين : ثم ماذا ؟

دكتور الفيلسفة : لقد قلت ما ينبغي على أن أقوله .

(يخلع نظارته ويطويها)

افهمنى يا سيد بيدرمين ، لقد كنت أريد إصلاح الدنيا ، وأنا
رجل جاد صادق ، كنت أعرف كل ما كانوا يدبرونه فى
السندرة . إلا شيئاً واحداً لم أكن أعرفه : وهو أنهم كانوا
يصدرون عن مجرد شهوة خطيرة لا تطفىء جذوتها إلا النيران .

بيدرمين : يا سيادة الدكتور .

(الدكتور الجامعى يبتعد)

يا سيادة الدكتور ، وماذا أعمل بهذه ؟

(الدكتور الجامعى يصعد فوق حاجز المسرح وينزل إلى الصالة حيث

يجلس)

بأبيته : يا جوتليب .
بيدرمن : هو .. راح .
بأبيته : ماذا أعطيت الرجلين ؟ لقد رأيتك تعطيهما شيئاً . عيدان
ثقاب ؟
بيدرمن : ولم لا ؟
بأبيته : عيدان ثقاب ؟
بيدرمن : لو أنهما كانا بالفعل من مشعلى الحرائق ، فهل تظنين أنهما
كانا بالفعل لا يحملان عيدان ثقاب ؟ يا بأبيته ، يا حبيبتى ،
يا بأبيته يا حبيبتى .

(الساعة الكبيرة تدق . سكون . الضوء يصطبغ بالحمرة ، وبينما يحيط
الظلام تدريجياً بالمرح تتناهى إلى الأسماع أصوات أجراس الخطر ،
نباح الكلاب ، صفارات الحريق ، فرقة كمثل خشبية منهارة ، آلات تنبيه
السيارات ، طقطقة النيران ، صرخات حتى يتقدم الكورس المشهد .)

الكورس : هناك أشياء كثيرة بغير معنى .
ولكن ليس هناك شيء تجرد من المعنى قدر هذه القصة :
التي اضطرت وتأججت
فقتلت الكثيرين ، وإن لم تقتل الجميع ،
ثم لم تُغيّر شيئاً .
(فرقة أولى)

رئيس الكورس : كان هذا خزان غاز
(فرقة ثانية)

الكورس : وما تنبأ به كل إنسان
قبل النهاية بوقت طويل
جرى في النهاية وتحقق :
هذا السخف

الذي لم يعد من سبيل إلى إطفائه
والذي يسمونه القضاء والقدر .
(فرقة ثالثة)

رئيس الكورس : خزان غاز آخر

(تتوالى فرقعات فظيعة)

الكورس : آه لنا ! آه لنا ! آه لنا !

(يضاء النور في قاعة المتفرجين)

رقم الإيداع ١٩٩٦/٨٧٠١

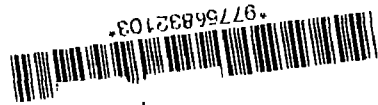
الترقيم الدولي (I.S.B.N-977-235-627-9)

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٧٦٨١ - ١٩٩٥ - ١٠١٢

300757 |  | 59039 | ١٢٨

يعالج الأديب السويسرى ماكس فريش فى هذه المسرحية من منظور أخلاقى وسياسى طائفة من مشكلات المجتمع الحديث المحورية . فقد أتيح لهذا المجتمع من التقدم الفكرى والتقنى والعلمى والصناعى والتجارى الشىء الكثير ، ولكنه لم يزل يضم بين ظهرانيه نمط الإنسان الذى تخلف أخلاقيا وفكرياً عن هذا التقدم بمعناه الشامل ، وظل على أنانيته وضيق فكره يستغل أخاه الإنسان ، لا يهمله إلا أن يحقق الأرقام ، أعلى الأرقام ، فى التوزيع والنجاح والثروة والقوة ، ولكن غفلته عن الأبعاد الاجتماعية والإنسانية وعن القيم تهدد كل شىء بالفناء ، وتهده هو أيضاً بالفناء ، بل تستخدمه آلة تنسف ذاته . وهذا هو بيدرمن فى وسط الكارثة يتعامى عن الحقيقة ويسترسل فى الزيف والتزييف إلى النهاية ، إلى الهاوية ، وإذا المسرحية تنقلب من مأساة إلى ملهاة ، ومن ملهاة إلى مأساة .



CULTURAL HERITAGE